

السيرة النبوية

الجزء الأول

العهد المكِّى

مستمدة من أوثق كتب السيرة



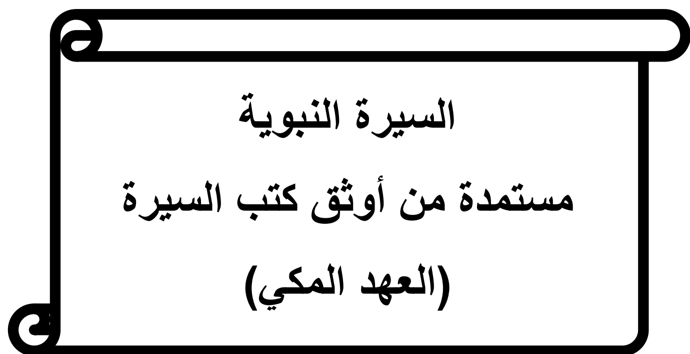
جمع وإعداد
دكتـورة
هدية طه عبده ابراهيم

المؤلف والكتاب فى سطور

- تعمل حالياً فى معهد (روضة المستغفرين) لتدريس السيرة النبوية.
- حاصلة على إجازة فى القرآن الكريم.
- عملت واعظة متطوعة فى معهد الدعوة الإسلامية التابع للمركز العام لجمعية مجد الإسلام بشبرا.
- حاصلة على شهادة إتمام الدراسة بمعهد الدعوة الإسلامية التابع للمركز العام لجمعية مجد الإسلام الخيرية بشبرا فى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- حاصلة على شهادة إتمام الدراسة بمركز الدعوة الإسلامية التابع للمركز العام لجمعية مجد الإسلام الخيرية بشبرا المشهرة برقم ٢٠٦٢ الساحل - القاهرة فى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
- حاصلة على درجة البكالوريوس فى العلوم الطبية البيطرية بجامعة القاهرة ١٩٧٨م.

وقد أعانها الله تعالى على جمع هذا الكتاب من أوثق الكتب فى سيرة المصطفى ﷺ. منهـا :

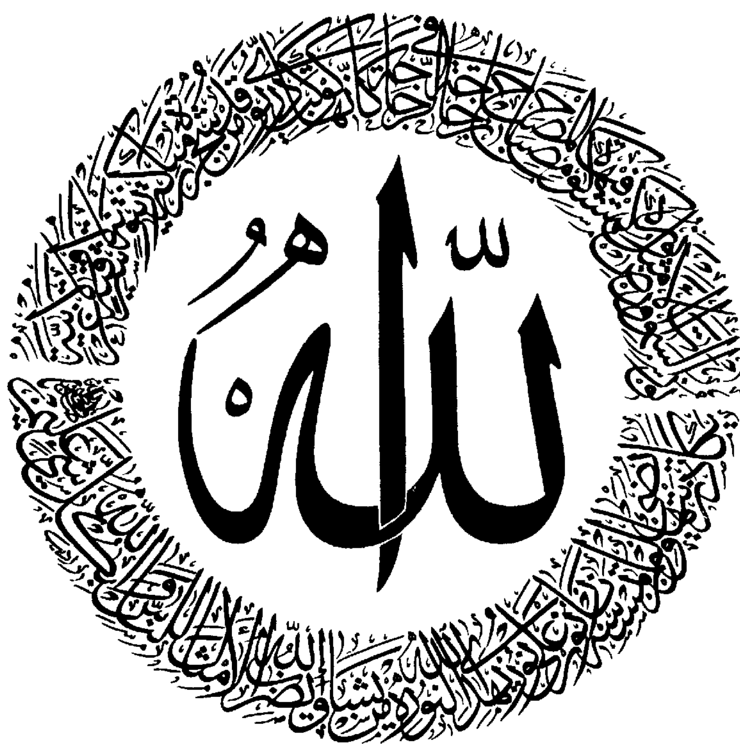
- مختصر سيرة الرسول ﷺ للإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.
- الرحيق المختوم للشيخ صفى الرحمن المباركفورى.
- محمد نبى البر المختار من سيرة بن هشام لإبراهيم الإبيارى.
- صفوة التفاسير لمحمد على الصابونى.
- تاريخ الإسلام للدكتور عبد الشافى محمد عبد اللطيف.
- تراجم سيدات بيت النبوة للدكتورة عائشة عبد الرحمن.
- فقه السيرة للبوطى.
- زاد المعاد لابن القيم الجوزية.
- مختصر تفسير بن كثير للشيخ مصطفى العدوى.
- الإسراء والمعراج للدكتور عبد الحليم محمود.



السيرة النبوية

مستمدة من أوثق كتب السيرة

(العهد المكي)


الله

السيرة النبوية
مستمدة من أوثق كتب السيرة
(العهد المكي)

جمع وإعداد
د. هدية طه عبده إبراهيم

إهداء

أهـدي هـذا الكتـاب إلـى زوجـي الأسـتاذ/ مُحَمَّد حافظ فودة، مسجلة هنا شكري وعرفاني بالجميل، وتقديري لـه على ما بذلـه مـن جهـد ومشـقة لإخـراج هذا الكتاب في أكمل صورة، سائلة المولى عز وجل أن يبـارك فيـه، وأن يجعـل كـل عمـل صـالح يعينني عليه في ميزان حسناته يوم القيامة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،،

فمن الواجب علينا معرفة ديننا والعمل به، فهذا سبيلنا للجنة، وأما الجهل بديننا وإضاعته فيكون سببًا لدخول النار.

فيجب علينا أن نتعرف على أحوال رسولنا ﷺ وقومه، وما جرى له معهم في مكة، وما جرى له في المدينة.

ونتعرف أيضًا على أصحابه رضوان الله عليهم، وأحوالهم، وأعمالهم، وليتسنى لنا التمييز بين الإسلام والكفر، فإن الإسلام اليوم غريب، وأكثر الناس لا يميز بينه وبين الكفر وذلك هو الهلاك الذي لا يُرجَى معه فلاح، فلا بد أن نفرق بين الخير والشر لننجو بأنفسنا، ولنبدأ فنتعرف على:

أقوام العرب(١):

١- العرب البائدة: القدامى مثل عاد وثمود.

٢- العرب العاربة: مهدها بلاد اليمن: قبيلة حمير، الأوس، الخزرج.

٣- العرب المستعربة: من صلب إسماعيل وتسمى العرب العدنانين، وأصل جدهم إبراهيم عليه السلام من بلاد العراق.

العرب المستعربة:

---

(١) الرحيق المختوم.

فأصل جدهم الأعلى من بلاد العراق (سيدنا إبراهيم ﷺ)، وقد هاجر منها إلى فلسطين، فاتخذها قاعدة لدعوته، وكانت له جولات في هذه البلاد وغيرها.

قدوم إبراهيم ﷺ إلى مصر:

وقد حاول فرعون مصر كيدًا وسوءًا بزوجته سارة، ولكن الله رد كيده في نحره، وعرف فرعون ما لسارة من الصلة القوية بالله، حتى أعطاها هاجر(هدية لها) اعترافًا بفضلها، وزَوَّجَتها سارة بإبراهيم ﷺ(١).

ورجع إبراهيم إلى فلسطين:

ورزقه الله من هاجر (إسماعيل)، ثم جاءه الأمر من الله (عز وجل) فقدم إبراهيم ﷺ بهاجر مع ولدها الصغير إسماعيل إلى الحجاز، وأسكنهما بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيت الله المحرم، الذي لم يكن إذ ذاك إلا مرتفعًا من الأرض كالرابية، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضع عندهما جرابًا فيه تمر، وسقاءً فيه ماء ورجع إلى فلسطين.

هاجر وحدها وابنها الرضيع:

لم تمض أيام حتى نفذ الزاد والماء، وهناك تفجرت بئر زمزم بفضل الله، وجاءت قبيلة يمانية (جرهم) الثانية، فقطنت مكة بإذن من أم إسماعيل، وقد كانت (جرهم) تمر بهذا الوادي قبل ذلك.

زيارة إبراهيم الأولى لابنه إسماعيل:

أُري إبراهيم في المنام أنه يذبح إسماعيل، فقام بامتثال الأمر، قال

(١) الرحيق المختوم.

تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[1].

زيارة إبراهيم الثانية لابنه:

كبر إسماعيل وتعلم العربية من جرهم، وتزوج امرأة منهم، وماتت أمه، فجاء إبراهيم، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه وعن أحوالهما، فشكت إليه ضيق العيش، فأوصاها أن تقول لإسماعيل أن يغير عتبة بابه، وفهم إسماعيل ما أراد أبوه، فطلق امرأته تلك وتزوج أخرى.

زيارة إبراهيم الثالثة:

أيضًا لم يجد إسماعيل فسأل زوجته عنه وعن أحوالهما، فأثنت على الله، فأوصى إسماعيل أن يثبت عتبة بابه.

زيارة إبراهيم الرابعة:

وجد ابنه قريبًا من زمزم يبري نباله، فبنيا الكعبة ورفعا قواعدها، وأذَن إبراهيم في الناس بالحج كما أمره الله قائلاً للناس: يا أيها الناس إن لله بيتًا فحجوه.

رزق الله إسماعيل من تلك الزوجة الثانية اثنى عشر ولدًا ذكرًا -١٢ قبيلة-.

قال رسول الله ﷺ : «إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين، ثم تخير القبائل فجعلني من خير القبيلة، ثم تخير البيوت

(١) سورة الصافات: الآيات (١٠٣-١٠٧).

فجعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسًا، وخيرهم بيتًا».

وقال رسول الله ﷺ : «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»(١).

الملك باليمن(٢)

قامت دولة حمير على أنقاض دولة سبأ.

قصة شق وسطيح الكاهنيين(٣):

وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن رأى رؤيا هالته وفظع بها، فلم يدع كاهنًا ولا ساحرًا ولا عائفًا ولا منجمًا من أهل مملكته إلا جمعه إليه، فقال لهم: إني قد رأيت رؤية هالتني وفظعت بها، فأخبروني بها وبتأويلها، قالوا له: أقصصها علينا نخبرك بتأويلها، قال: إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها، فقال رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى (سطيح) و(شق)، فإنه ليس أحد أعلم منهما، فهما يخبرانه بما سأل عنه.

فبعث إليهما، فقدم عليه (سطيح) قبل (شق)، فقال له: إني رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها.

قال: أفعل، رأيت حممة(١) خرجت من ظلمة(٢) فوقعت بأرض تهمة،

---

(١) رواه مسلم.
(٢) من كتاب محمد نبي البر.
(٣) من كتاب محمد نبي البر.

فأكلت منها كل ذات جمجمة.

فقال له الملك: ما أخطأت منها شيئًا يا سطيح، فما عندك في تأويلها؟

فقال: أحلف ما بين الحرتين من حنش، لتهبطن أرضكم الحبش، فليهكن ما بين (أبَين) إلى (جرش) -مكانان باليمن-.

فقال له الملك: وأبيك يا سطيح، إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن؟ أفي زماني هذا أم بعده؟

قال: لا بل بعده بحين، أكثر من ستين أو سبعين يمضين من السنين، ثم يُقتلون ويُخرجون منها هاربين.

قال: ومن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم؟

قال: يليه إرم (سيف بن ذي يزن)، يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحدًا منهم باليمن.

قال: أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟

قال: لا، بل ينقطع.

قال: ومن يقطعه؟

قال: نبي زكي، يأتيه الوحي من قبل العلي.

قال: وممن هذا النبي؟

=
(١) الحممة: الفحمة فيها نار.
(٢) من ظلم: أي من ظلام، يعني من جهة البحر، يريد خروج عسكر الحبشة من أرضهم.

قال: رجل من ولد غالب من فهر بين مالك بن النضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر.

قال: وهل للدهر من آخر؟

قال: نعم، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون، يسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون.

قال: أحق ما تخبرني به؟

قال: نعم، والشفق والغسق، والفلق إذا اتسق، إن ما أنبأتك به لحق.

ثم قدم عليه (شق)، فقال له كقوله لسطيح، وكتمه ما قاله سطيح، لينظر أيتفقان أم يختلفان، فقال: نعم، رأيت حممة، خرجت من ظلمة، فوقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كل ذات نسمة.

فلما قال له ذلك (شق) عرف أنهما قد اتفقا، وأن قولهما واحد.

فقال له الملك: ما أخطأت يا (شق) منها شيئًا، فما عندك في تأويلها؟

قال: أحلف ما بين الحرتين من إنسان، لينزلن أرضكم السودان، فليغلبن على كل طفلة البنان[1]، وليملكن ما بين (أبين) إلى (نجران).

فقال له الملك: وأبيك يا (شق)، إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن؟ أفي زماني أم بعده؟

قال: لا، بل بعده بزمان، ثم يستنقذكم منها عظيم ذو شأن، ويذيقهم أشد الهوان.

---

(١) يريد الفتاة الناعمة الرخصة.

قال: ومن هذا العظيم الشأن؟

قال: غلام ليس بدني ولا مدن[١]، يخرج عليهم من بيت ذي يزن (سيف بن ذي يزن) فلا يترك أحدًا منهم باليمن.

قال: أفيدوم سلطانه أم ينقطع؟

قال: بل ينقطع برسول مرسل، يأتي بالحق والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل.

قال: وما يوم الفصل؟

قال: يوم تجزى فيها الولاة، ويدعى فيه من السموات بدعوات يسمع منها الأحياء والأموات، ويجمع فيه بين الناس للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات.

قال: أحقَ ما تقول؟

قال: أي ورب السماء والأرض، وما بينهما من رفع وخفض، إن ما أنبأتك به لحق ما فيه أمض[٢].

فوقع في قلب (ربيعة بن نصر) ما قالا، فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس، فأسكنهم (الحيرة)، فمن بقية ولد (ربيعة بن نصر): النعمان بن المنذر.

استيلاء تبع على اليمن

فلما هلك ربيعة بن نصر رجع مُلك اليمن كله إلى (تبع).

و(تُبَّع) هذا هو الذي قدم إلى المدينة، وساق (الحبرين) من يهود

(١) المقصر في الأمور الذي يتبع خسيسًا.
(٢) شك.

المدينة إلى اليمن، وعمَّر البيت الحرام وكساه، وكان ملكه قبل ملك ربيعة بن نصر.

وكان قد جعل طريقه -حين أقبل من المشرق- على المدينة، وكان قد مر بها في بدأته فلم يهج أهلها، وخلف بين أظهرهم ابنًا له، فقتل غيلة، فقدمها وهو مجمع لإخرابها واستئصال أهلها، وقطع نخلها، فجمع له الأنصار.

وقد كان رجل من بني عدي بن النجار عدا على رجل من أصحاب (تبع) فقتله، وذلك أنه وجده في نخلة له يقطعها، فضربه بمنجلة فقتله، وقال: إنما التمر لمن أصلحه، فزاد ذلك (تبعًا) حنقًا عليهم، فاقتتلوا، وكان الأنصار يقاتلونه بالنهار، ويضيفونه بالليل، فيعجبه ذلك منهم ويقول: والله إن قومنا لكرام.

فبينما (تبع) على ذلك من قتالهم، إذ جاءه حبران من أحبار اليهود، عالمان راسخان في العلم، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك لا تفعل، فإنك إن أبيت إلا ما تريد، حيل بينك وبينها، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة، فقال لهما: ولِمَ ذلك؟ فقالا: هي مهاجر نبي يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان، تكون داره وقراره، فتناهى عن ذلك، ورأى أن لهما علمًا، وأعجبه ما سمع منهما، فانصرف عن المدينة، واتبعهما على دينهما.

وتوجه (تُبَّع) إلى مكة، وهي طريقه إلى اليمن، حتى إذا كان بين

(عسفان وأمج)[١] أتاه نفر من (هذيل بن مدركة) فقالوا له: أيها الملك ألا ندلك على بيت مال داثر، أغفلته الملوك قبلك، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة؟ قال: بلى، قالوا: بيت بمكة يعبده أهله، ويصلون عنده، وإنما أرد الهذليون هلاكه بذلك، لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغى عنده.

فلما أجمع لما قالوا، أرسل إلى (الحبرين)، فسألهما عن ذلك، فقالا له: ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك، ما نعلم بيتًا لله اتخذه في الأرض غيره، ولئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعًا، قال: فماذا تأمرانني أن أصنع إذا قدمت عليه؟ قالا: تصنع عنده ما يصنع أهله، تطوف به وتعظمه وتكرمه، وتحلق رأسك عنده، وتذل له، حتى تخرج من عنده، قال: فما يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالا: أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم، وإنه لكما أخبرناك، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله، وبالدماء التي يهريقون عنده، وهم نجس أهل الشرك.

فعرف نصحهما وصدق حديثهما، فقرب (النفر من هذيل) فقطع أيديهم وأرجلهم، ثم مضى حتى قدم مكة، فطاف بالبيت، ونحر عنده، وحلق رأسه، وأقام بمكة ستة أيام ينحر بها للناس، ويطعم أهلها ويسقيهم العسل، وأُري في المنام أنه يكسو البيت فكساه الخصف[٢]، ثم أُري أنه

---

(١) عسفان: على مرحلتين من مكة، أمج: من أعراض المدينة.
(٢) الخصف: حصير منسوجة من خوص النخل.

يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعافر[١]، ثم أُري أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل[٢].

فكان (تُبَّع) أول من كسا البيت، وأوصى به ولاته، وأمرهم بتطهيره، وألا يقربوه دمًا ولا ميتة، وجعل له بابًا ومفتاحًا، ثم خرج من مكة متوجهًا إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالحبرين، حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه، فأبوا عليه وقالوا: حاكمنا إلى النار، قال: نعم، وكانت باليمن -فيما يزعمون- نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه، تأكل الظالم، ولا تضر المظلوم، فخرج قومه بأوثانهم، وما يتقربون به في دينهم، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما، حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه، فخرجت النار إليهم، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها، فحضهم من حضرهم من الناس، وأمروهم بالصبر لها، فصبروا حتى غشيتهم، فأكلت الأوثان وما قربوا معها، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما، تعرق جباههما لم تضرهما، فاجتمعت عند ذلك حمير على دينه، فمن هنالك كان أصل اليهودية باليمن.

---

(١) المعافر:

(٢) الملاء: الملاحف، والوصائل: ثياب مخططة يمنية.

بعد موت تبع:

ثم ملك ابنه (حسان) فسار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض الأعاجم، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق، كرهت حمير وقبائل اليمن المسير معه، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم، فكلموا أخًا له يُقال له: (عمرو)، وكان معه في جيشه، فقالوا له: أقتل أخاك (حسان) ونملكك علينا، وترجع بنا إلى بلادنا، ففعل وقتل أخاه حسان، ورجع بمن معه إلى اليمن.

فلما نزل عمرو اليمن مُنع منه النوم، وسلط عليه السهر، فلما جهده ذلك سأل الأطباء والكهان والعرافين عما به، فقال له قائل منهم: إنه والله ما قتل رجل قط أخاه، أو ذا رحمه، بغيًا على مثل ما قتلت أخاك عليه، إلا ذهب نومه وسلط عليه السهر، فلما قيل له ذلك، جعل يقتل كل من أمره بقتل أخاه حسان من أشراف اليمن.

ثم هلك عمرو:

فاختلط أمر حمير عند ذلك وتفرقوا، فوثب عليهم رجل من حمير، يُقال له: (لخنيعة)، وكان لخنيعة أمرأً فاسقًا، فقتله ذو نواس، ابن أخي حسان، فقالوا له: ما ينبغي أن يملكنا غيرك إذ أرحتنا من هذا الخبيث، فملكوه.

ذو نواس:

اجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن، فكان آخر ملوك حمير، وهو صاحب الأخدود، وتسمى يوسف، فأقام في ملكه زمانًا، ثم إن أهل نجران

كانوا قد دخلوا في دين عيسى بن مريم ﷺ، فسار إليهم (ذو نواس) بجنوده، فدعاهم إلى اليهودية، وخيرهم بين ذلك والقتل، فاختاروا القتل، فخد لهم الأخدود، فحرق من حرق بالنار، وقتل بالسيف، ومَثَّل بهم، حتى قتل منهم قريبًا من عشرين ألفًا.

ففي ذي نواس وجنده أنزل الله تعالى على رسوله محمد ﷺ: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[١].

وأفلت منهم رجل -يقال له: (دوس)- على فرس له، فسلك الرمل فأعجزهم، فمضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصر ملك الروم، فاستنصره على ذي نواس وجنوده، وأخبره بما بلغ منهم، فقال له: بعدت بلادك منا، ولكني سأكتب لك إلى ملك الحبشة، فإنه على هذا الدين، وهو أقرب إلى بلادك، وكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره.

فقدم دوس على النجاشي بكتاب قيصر، فبعث معه سبعين ألفًا من الحبشة، وأمَّر عليهم رجلاً منهم يُقال له: (أرياط)، ومعه في جنده أبرهة الأشرم، فركب (أرياط) البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس، وسار إليه (ذو نواس) فيمن أطاعه من قبائل اليمن، فلما التقوا انهزم ذو نواس

(١) سورة البروج: الآيات (٤-٨).

وأصحابه.

فلما رأى (ذو نواس) ما نزل به وبقومه، وجَّه فرسه في البحر، ثم ضربه فدخل به، فخاض به ضحضاح البحر حتى أفضى به إلى غمره، وكان آخر العهد به.

ودخل (أرياط) اليمن فملكها: (الحبشه باليمن)

فأقام (أرياط) بأرض اليمن سنين في سلطانه ذلك، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي حتى تفرقت الحبشة عليهما، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم، ثم سار أحدهما إلى الآخر، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط: إنك لا تصنع بأن تلقي الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها، فابرز إليَّ وأبرز إليك، فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده.

فأرسل إليه (أرياط): أنصفت، فخرج إليه أبرهة، وكان رجلاً قصيرًا سمينًا، وخرج إليه (أرياط)، وكان رجلاً جميلاً عظيمًا طويلاً، وفي يده حربة له، وخلف أبرهة غلام له يمنع ظهره، فرفع (أرياط) الحربة فضرب أبرهة، يريد يافوخه[١]، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة، فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته، فبذلك سُمي أبرهة الأشرم، وحمل غلام أبرهة على (أرياط) فقتله.

وانصرف جند (أرياط) إلى أبرهة الأشرم:

فاجتمعت عليه الحبشة باليمن، فلما بلغ ذلك النجاشي غضب

(١) اليافوخ: وسط الرأس.

غضبًا شديدًا، وقال: عدا على أميري فقتله بغير أمري، ثم حلف لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ويجز ناصيته، فحلق أبرهة رأسه، وملأ (جرابًا) من تراب اليمن، ثم بعث إلى النجاشي وكتب إليه:

أيها الملك، إنما كان أرياط عبدك وأنا عبدك، فاختلفنا في أمرك، وكلٌ طاعته لك، إلا أني كنت أسوس منه، وقد حلقت رأسي كله حين بلغني قسم الملك، وبعثت إليه بجراب تراب من أرضي ليضعه تحت قدميه فيبر قسمه فيَّ، فلما انتهى ذلك إلى النجاشي، كتب إليه أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمري.

فأقام أبرهة باليمن:

وقد رأى الناس يتجهزون أيام الموسم إلى مكة، ثم إن أبرهة بنى بصنعاء كنيسة لم ير مثلها في زمانها، ثم كتب إلى النجاشي: إني بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبنَ مثلها لملك كان قبلك، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب.

فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة إلى النجاشي، غضب رجل من العرب، فخرج حتى أتى الكنسية فقعد فيها[١]، ثم خرج فلحق بأرضه، فأُخبر بذلك أبرهة فقال: من صنع هذا؟ فقيل له: صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي تحج العرب إليه بمكة لما سمع قولك.

فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه، ثم

---

(١) قعد: أي أحدث.

أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت، ثم سار وخرج معهم بالفيل، وسمعت بذلك العرب، فأعظموه، وفظعوا به، ورأوا جهاده حقًا عليهم، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام.

خروج أبرهة لهدم الكعبة -شرفها الله- ونهاية أبرهة:

ولما نزل أبرهة قريبًا من مكة، بعث رجلاً من الحبشة على خيل له، حتى انتهى إليها، فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها، وهمت قريش ومن كان بالحرم من سائر الناس بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك.

وبعث أبرهة رسولاً إلى مكة وقال له: سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها، ثم قل له: إن الملك يقول لك: إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تعرضوا دونه بحرب، فلا حاجة لي بدمائكم، فإن هو لم يرد حربي فأتني به.

فلما دخل رسول أبرهة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل له: عبد المطلب بن هاشم، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، فإن يمنعه منه فهو بيته، وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه، فقال له رسول أبرهة: فانطلق معي إليه، فإنه قد أمرني أن آتيه بك.

عبد المطلب بن هاشم (سيد قريش وشريفها):

وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم، فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه، وأكرمه عن أن يجلس تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه.

فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه، وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل له: ما حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان، فقال عبد المطلب: حاجتي أن يرد الملك مائتي بعير أصابها لي، فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت قد أعجبتني حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه؟ قال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربًا سيمنعه[١]، قال أبرهة: ما كان ليمتنع مني، قال عبد المطلب: أنت وذاك.

عبد المطلب يدعو الله لنصرة بيته:

فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل التي أصابها له، ثم انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرز في الجبال والشعاب، تخوفًا عليهم من شدة الجيش، ثم قام عبد المطلب وأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده.

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من

---

(١) لا يجوز هذا القول بعد مجيء الإسلام والأمر من الله بالدفاع عن دين الله ومقدساته.

قريش إلى الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها.

تهيؤ أبرهة وفيله لدخول مكة:

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله وعبأ جيشه، فلما وجهوا الفيل إلى مكة برك، وضربوه ليقوم فأبى، فضربوه في رأسه بالفأس ليقوم فأبى، فأدخلوا محاجن[1] لهم في أسفل بطنه ليقوم فأبى، فوجهوه راجعًا إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك.

الطيور جند من جنود الله:

فأرسل الله تعالى عليهم طيرًا من البحر، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها، حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحدًا إلا هلك، فخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون بكل مهلك عل كل منهل.

هزيمة أبرهة وإعلاء شأن قريش بين العرب:

وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا معه تسقط أنامله، أنملة أنملة، حتى قدموا به صنعاء، وهو مثل فرخ الطائر فمات.

فلما بعث الله تعالى محمدًا ﷺ، كان مما عدّ الله على قريش من نعمته عليهم وفضله، ما رد عنهم من أمر الحبشة، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ

(١) المحاجن: عصى معوجة في طرفها حديد.

﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[١].

فلما رد الله الحبشة عن مكة، وأصابهم بما أصابهم به من النقمة، أعظمت العرب قريشًا، وقالوا: هم أهل الله، قاتل الله عنهم وكفاهم مئونة عدوهم، فقالوا في ذلك أشعارًا يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة، وما رد عن قريش من كيدهم.

بعد موت أبرهة: ملك ابنه يكسوم، ولما مات يكسوم ملك اليمن في الحبشة أخوه مسروق وطال البلاء على أهل اليمن.

فخرج سيف بن ذي يزن: حتى قدم على قيصر ملك الروم، فشكا إليه ما هم فيه، وسأله أن يخرجهم عنهم ويليهم هو، ويبعث إليهم من شاء من الروم، فيكون له ملك اليمن.

فلم يجد عنده شيئًا مما يريد، فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر، وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق، فشكا إليه أمر الحبشة، فقال له النعمان: إن لي على كسرى وفادة في كل عام، فأقم حتى يكون ذلك ففعل.

سيف بن ذي يزن يوزع عطاء كسرى للناس:

خرج سيف بن ذي يزن مع النعمان بن المنذر، فدخل على كسرى، وكان كسرى يجلس في ديوان مجلسه الذي فيه تاجه، فلما دخل عليه

---

(١) سورة الفيل.

«سيف» قال له: أيها الملك، غلبتنا على بلادنا الأغربة، فقال له كسرى: أي الأغربة، الحبشة أم السند؟ فقال: بل الحبشة، فجئتك لتنصرني، ويكون ملك بلادي لك، قال كسرى: بعدت بلادك مع قلة خيرها، فلم أكن لأورط جيشًا من فارس بأرض العرب، لا حاجة لي بذلك، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم وكساه كسوة حسنة.

فلما خرج (سيف) جعل ينثر الدراهم للناس، فبلغ ذلك الملك.

سيف يقوم بحيلة لإغراء ملك الفرس:

قال الملك كسرى: إن لهذا لشأنًا، ثم بعث إليه فقال: عمدت إلى عطاء الملك تنثره للناس! فقال: وما أصنع بهذا؟!

ما جبال أرضي التي جئت منها إلا ذهب وفضة -يرغبَّه فيها- فجمع كسرى مرازبته[1] فقال لهم: ماذا ترون في أمر هذا الرجل وما جاء به؟ فقال قائل: أيها الملك، إن في سجونك رجالاً قد حبستهم للقتل، فلو أنك بعثتهم معه، فإن يهلكوا كان ذلك الذي أردت بهم، وإن ظفروا كان مُلكًا ازددته.

(١) مزرابته: وزراؤه.

فبعث معه كسرى من كان في سجونه:

وكانوا ثمانمائة رجل، واستعمل عليهم رجلاً منهم يُقال له: وهرز، وكان ذا سن فيهم، وأفضلهم حسبًا وبيتًا، فخرجوا في ثماني سفائن، فغرقت سفينتان ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن.

المواجهة بين جيش (مسروق) وجيش (سيف)، ونهاية ملك الحبشة:

فجمع سيف إلى وهرز من استطاع من قومه، وقال له: رجالي مع رجالك حتى نموت جميعًا أو نظفر جميعًا، وخرج إليهم مسروق بن أبرهة ملك اليمن، وجمع إليه جنده فأرسل إليهم «وهرز» إبنًا له ليقاتلهم فيختبر قتالهم، فقتل ابن وهرز، فزاده ذلك حنقًا عليهم.

فلما تواقف الناس على مصافهم قال وهرز: أروني ملكهم، فقال له: أترى رجلاً على الفيل عاقدًا تاجه على رأسه، بين عينيه ياقوتة حمراء؟ قال: نعم، قالوا: ذلك ملكهم، فقال: إني سأرميه، فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا فاثبتوا حتى أوذنكم، فإني قد أخطأت الرجل، وإن رأيتم القوم قد استداروا به، فقد أصبت الرجل، فاحملوا عليهم.

ثم وتر قوسه، ثم رماه، فتغلغلت النشابة في رأسه حتى خرجت من قفاه، ونكس عن دابته، واستدارت الحبشة به، وحملت عليهم الفرس، وانهزموا فقتلوا وهربوا في كل وجه.

الفرس باليمن:

وأقبل (وهرز) ليدخل صنعاء، حتى إذا أتى بابها قال: لا تدخل رايتي منكسة أبدًا، إهدموا الباب، فهُدم ثم دخلها ناصبًا رايته.

فأقام (وهرز) والفرس باليمن، وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها (أرياط) إلى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة وأخرجت الحبشة، اثنتين وسبعين سنة توارثت ذلك منهم أربعة: أرياط ثم أبرهة، ثم يكسوم بن أبرهة، ثم مسروق بن أبرهة، ثم نصَّب الفرس سيف ملكًا على اليمن سنة ٥٧٥م، ثم اغتاله أحد حراسه من الأحباش ثم حكم وهرز.

موت (وهرز):

ثم مات وهرز فأمر كسرى ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن، ثم مات المرزبان فأمر كسرى ابنه التينجان على اليمن، ثم مات التينجان فأمَّر كسرى ابن التينجان على اليمن ثم عزله وأمَّر (باذان).

فلم يزل (باذان) عليها حتى بعث الله محمدًا النبي ﷺ فكتب كسرى إلى باذان: إنه بلغني أن رجلاً من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبي، فسر إليه فاستتبه، فإن تاب وإلا فابعث إليَّ برأسه.

بشرى رسول الله ﷺ بقتل كسرى وتحققها:

فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله ﷺ، فكتب إليه رسول الله ﷺ: «إن الله قد وعدني أن يُقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا»، فلما أتى باذان الكتاب توقف لينظر، وقال: إن كان نبيًا فسيكون ما قال، فقُتل كسرى في اليوم الذي قال رسول الله ﷺ قتل على يد ابنه شيرويه.

إسلام الفرس باليمن:

فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله ﷺ سنة ٧هـ، وأبقاه الرسول ﷺ ملكًا على اليمن، فقدكان آخر نائب لكسرى في حكم اليمن هو باذان.

النسب الذكي

إسماعيل

عدنان

معد

نزار

مضر

إلياس

مدركه

خزيمة

كنانة

النضر

مالك

فهر (قريش)

غالب

لؤي

كعب

مرة

كلاب

قصي

عبد مناف

هاشم

عبد المطلب

عبد الله

محمد رسول الله ﷺ

تفجُّر بئر زمزم وبناء الكعبة

١- آدم[١]:

إن الله تعالى أخرج ذرية آدم من صلبه أمثال الذر، وأخذ عليهم العهود، ألا يشركوا به شيئًا، ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج، ورأى فيهم رجلاً من أنورهم، فسأله عنه؟ فأعلمه أنه داود، فقال كم عمره؟ قال: ستون سنة، قال: وهبت له من عمري أربعين سنة، وكان عمر آدم ألف سنة، فلما مضى من عمر آدم ألف سنة إلا أربعين، أتاه ملك الموت، فقال: إنه بقى من عمري أربعون سنة، فقال: إنك وهبتها لابنك داود، فنسى آدم، فنسيت ذريته.

فلما مات آدم، بقى أولاده بعده عشرة قرون على دين أبيهم (دين

(١) بالاستعانة من مختصر سيرة الرسول ﷺ للإمام شيخ الإسلام محمد عبد الوهاب.

الإسلام) ثم كفروا بعد ذلك، وسبب كفرهم الغلو في حب الصالحين، ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[١]، فكانت تُعبد وتُعظم منذ عهد نوح ﷺ، وذلك أن هؤلاء الخمسة قوم صالحون فماتوا، فصوروهم أصحابهم حتى لا ينسوهم، ثم طال الزمان، ومات أهل العلم، فعبدوهم.

٢- نوح:

فأرسل الله إليهم نوحًا ﷺ ليردهم إلى دين آدم وذريته قبل التبديل، وبقوا على الإسلام مدة ثم حدث الشرك.

٣- هود:

وبقي التوحيد في عاد قوم هود إلى أن عُدِم بعد مدة.

٤- صالح:

وبقي في أصحاب صالح إلى أن عدم بعد مدة.

٥- إبراهيم:

ثم بعث الله إبراهيم، وليس على وجه الأرض يومئذ مسلم.

---

(١) سورة نوح: الآية (٢٣).

إبراهيم عليه السلام[١]

آمنت به سارة ثم آمن له لوط ﷺ، في الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم النبي ﷺ قط إلا ثلاث كذبات:

١- ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾.

٢- ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾.

٣- قولي لفرعون أنك أختي (لسارة).

كان ﷺ في أرض العراق، وبعد ما جرى عليه من قومه ما جرى هاجر إلى الشام، واستوطنها إلى أن مات فيها.

فقد قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم إنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختي، فإنك أختي في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلمًا غيري وغيرك، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار، فأتاه فقال: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي أن تكون إلا لك، فأرسل إليها فأتى بها، فقام إبراهيم إلى الصلاة.

فلما دخلت عليه، لم يتمالك أن بسط يده إليها، فَقُبِضَتْ يده قبضة شديدة، فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي، فلك الله أن لا أضرك، ففعلت، فعاد فقبضت يده أشد من القبضة الأولى، فقال لها مثل ذلك، فعاد فقبضت يده أشد من القبضتين الأولتين، فقال لها: ادعي الله أن

(١) من كتاب مختصر سيرة الرسول ﷺ للإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

يطلق يدي، ولك الله أن لا أضرك، ففعلت، فأطلقت يده ودعا الذي جاء بها، فقال له: إنك إنما جئتني بشيطان ولم تأتني بإنسان، فأخرجها من أرضي. وأعطاها هاجر.فرجعت إلى ابراهيم عليه السلام.

فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف من صلاته ، فقال لها: مَهْيَم؟ قالت: خيرًا، كف الله يد الفاجر، وأعطى هاجر، قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء[1] هاجر أم إسماعيل. وطلبت سارة من إبراهيم عليه السلام أن يتزوج بهاجر لعل الله يرزقة منها الولد، فتزوجها فولدت له إسماعيل عليه السلام، فجاء الأمر من الله لإبراهيم عليه السلام ، فذهب بهاجر وبابنها اسماعيل فأسكنهما في مكة، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء ووضع عندها جرابًا فيه تمر وسقاءً فيه ماء، ثم قفّى إبراهيم منطلقًا، فتبعته أم إسماعيل، نادته من ورائه يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت.

فانطلق إبراهيم حتى إذا كان حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾[2].

(١) يقصد العرب فهم كانوا يبحثون عن أماكن المطر من أجل الرعي.
(٢) سورة إبراهيم: الآية (٣٧).

وجعلت أم إسماعيل ترضعه وتشرب من الشنة فيدر لبنها على صبيها، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل إليها فقامت واستقبلت الوادي تنظر، هل ترى أحدًا؟ فلم تر أحدًا، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي، رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود، حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها، فنظرت هل ترى أحدًا؟ فلم تر أحدًا. ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «فذلك سعي الناس بينهما» وأصبح سعيها شعيرة وركنًا من أركان الحج.

ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل؟ -تعني الصبي- فذهبت فنظرت، فإذا هو على حاله، كأنه ينشغ للموت(١)، فلم تقر نفسها، فقالت: لو ذهبت لعلي أحس أحدًا؟ فذهبت فلم تحس أحدًا، ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل؟ فإذا هي بصوت، فقالت: أغث إن كان عندك خير، فإذا بجبريل، فقال بعقبة على الأرض فانبثق الماء تكرمة من الله تعالى لهاجر وابنها إسماعيل، فذهبت أم إسماعيل فجعلت تحفر.

فقال أبو القاسم ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم -أو قال: لو لم تغرف من الماء- لكانت زمزم عينًا معينًا»، وفي حديثه: «فجعلت تغرف الماء في سقائها فشربت، وأرضعت ولدها».

---

(١) الشهيق بشدة حتى يبلغ إلى الغشي من شدة البكاء.

فقال لها الملك: لا تخافي الضيعة، فإن ههنا بيتًا لله، يبنيه هذا الغلام وأبوه، إن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية، تأتيه السيول، فتأخذ عن يمينه وشماله، وكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم مقبلين فرأوا طائرًا عائفًا، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء لَعَهْدُنا بهذا الوادي وما فيه ماء.

فأرسلوا جريًا أو جريين[1] فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا، وقالوا لأم إسماعيل: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ قالت: نعم، ولكن لا حَقّ لكم في الماء، قالوا: نعم، حتى لا يكون لهم حق تملكه.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ : «فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم».

وقد تردد إبراهيم عليه السلام على الوادي عدة مرات:

١- قصة الذبح والفداء[2] (الزيارة الأولى):

رأى إبراهيم عليه السلام في منامه أنه أمر بذبح ولده إسماعيل، فذهب إلى ابنه وعرض عليه الأمر، فقال الغلام: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[3].

فخرج به إلى (منى) لينحره، فأضجعه على وجهه، وأخذ السكين

(١) الأجير يجري مسرعًا.
(٢) من كتاب تاريخ الإسلام للدكتور عبد الشافي محمد عبد اللطيف.
(٣) سورة الصافات: الآية (١٠٢).

بيده، ولكن السكين لم يذبح، وحينئذ نودي من السماء أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا، وإنا قد فدينا ابنك بكبش سمين، فذبح الكبش فداء لولده، وهي سنة الأضحية في يوم النحر.

واستحق الخليل إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام أن يكونا مثلين عاليين في الامتثال لأمر الله، وأن يكونا قدوة صالحة لكل المؤمنين في طاعة الخالق سبحانه وتعالى.

والله كان يعلم أن إبراهيم سيمتثل لأمره وكذلك إسماعيل، وإنما أراد أن يعلمنا نحن المسلمون إلى أي مدى يكون امتثال عباد الله المخلصين لأمره، حتى لو بدى لهم هذا الأمر غريبًا، غرابة طلب أن يذبح الأب ابنه، ولكن مادام الأمر صادر من الله سبحانه وتعالى، فليس أمام العبد المؤمن إلا أن يطيع وينفذ حتى لو جهل الحكمة من الأمر.

٢- زواج إسماعيل بالمرأة الأولى (الزيارة الثانية لأبيه):

تزوج منهم إسماعيل، وماتت أمه، وجاء إبراهيم ﷺ لزيارة ابنه فلم يجده، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم، فقالت: نحن بِشَّر، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك أقرئي عليه السلام، وقولي له يغير عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل قالت: جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك وعن عيشنا، فقال: أقول لك غير عتبة بابك، قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك، فطلقها.

٣- وتزوج منهم امرأة أخرى (الزيارة الثالثة لإبراهيم):

وجاء فقال لامرأته: أين إسماعيل؟ قالت: ذهب يصيد، قالت: ألا تنزل فتطعم وتشرب؟ قال: وما طعامكم وشرابكم؟ قالت: اللحم والماء، قال: اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم، وسألها عن عيشهم وهيئتهم؟ فقالت: نحن بخير وسعة وأثنت على الله، قال: إذا جاء زوجك فأقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل قالت: جاءنا شيخ حسن الهيئة -وأثنت عليه- وأخبرته بما حدث، وبأنه يأمره أن يثبت عتبة بابه، قال: ذاك أبي، وأنتِ العتبة، أمرني أن أمسكك.

٤- بناء الكعبة والزيارة الرابعة:

جاء إبراهيم ﵇ فوجد إسماعيل يبري نبلاً له، قريبًا من زمزم، فلما رآه قام إليه واعتنقا ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني أن أبني ههنا بيتًا، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها.

فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر، فوضعه له، فقام عليه وهو يبني (فقام إبراهيم) وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[١]، وقد جعل ارتفاعها نحو أربعة أمتار[٢]، وطول جداريها الشرقي والغربي نحو اثني عشر مترًا، وطول جداريها الجنوبي والشمالي نحو عشرة أمتار، ولم يجعل لها سقفًا، وجعل لها فتحة باب واحد من جهتها الشرقية، ولم يعمل لها بابًا، بل كان مجرد

(١) سورة البقرة: الآية (١٢٧).
(٢) تاريخ الإسلام للدكتور عبد الشافي محمد عبد اللطيف.

فتحة، ووضع الحجر الأسود في الركن الجنوبي الشرقي، ومنه يبدأ الطواف حول الكعبة.

ولما فرغ إبراهيم الخليل من بنائها جاءه جبريل عليه السلام، وعلمه المناسك، وأمره أن يؤذن للناس بالحج، فقال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[1].

فقال إبراهيم: وما يبلغ صوتي؟ فقال الله تعالى: «أذن يا إبراهيم وعليَّ البلاغ »، فوقف على جبل أبي قبيس، وأخذ ينادي يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا، يا أيها الناس إن لله بيتًا فحجوه، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأجابه من آمن وسبق في علم الله أنه يحج إلى يوم القيامة قائلين: «لبيك اللهم لبيك».

وكان من الطبيعي أن يتولى إسماعيل أمر مكة والبيت الحرام، ثم بعد وفاته ولي بعده ابنه نابت، ثم آل الأمر إلى مضاض بن عمرو الجرهمي، ومن هنا بدأت زعامة قبيلة جرهم وولايتها لمكة، وظلت عدة أجيال وقد راجت تجارتها رواجًا كبيرًا، جعل أهلها يتحولون إلى الترف الذي حملهم على البغي والظلم واستحلال الحرمات.

فمع أن الله تعالى جعل البيت حرمًا آمنًا منذ أول يوم، وجعله مثابة للناس وأمنًا، وأنهم يعيشون في كنف ذلك البيت العظيم آمنين، ويتخطف الناس من حولهم، فبغوا وظلموا من كان يدخل مكة من غير أهلها، وأكلوا

---

(١) سورة الحج: الآية (٢٧).

حتى أموال الكعبة التي كانت تُهدى إليها، فاستاءت منهم القبائل الأخرى، خاصة بنو بكر بن عبد مناة من كنانة، وغبشان من خزاعة (من قبائل اليمن التي هاجرت إلى مكة)، الذين تحالفوا على جرهم، وعزموا على إخراجها من مكة.

فلما أدركت جرهم أنها مغلوبة على أمرها، عمدت إلى نهب أموال الكعبة، ثم ردمت بئر زمزم، حتى لا يُنتفع بمائها، ويُقال أنها ظلت مردومة ومجهولة حتى أذن الله تعالى أن يُعاد حفرها على يد عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف جد النبي ﷺ .

ولاية خزاعة على مكة:

بعد أن نجحت خزاعة وكنانة في طرد جرهم من مكة، انفردت خزاعة بولاية البيت وزعامة مكة مدة تقرب من ثلثمائة عام، وكان آخر من وليها منهم (حليل بن حبشية بن سلول الخزاعي)، الذي تزوج زعيم قريش قصي بن كلاب ابنته حبى، وقدر لقصي أن يلعب -عن طريق هذا النسب- الدور الهام في تاريخ مكة، وأن يصبح زعيمها بلا منازع، وأن تظل زعامتها في عقبه من بعده حتى ظهور الإسلام، وكانت قريش قبيلة قُصي متفرقة في بوادي مكة القريبة منها.

فعندما بدأت خزاعة تسيء السيرة في مكة[1]، دارت عليها الدائرة كما دارت على جرهم من قبل، وأخرجت مكة من بغى فيها على حد تعبير

---

(١) من كتاب تاريخ الإسلام، للدكتور عبد الشافي محمد عبد اللطيف.

ابن إسحاق، وآلت زعامة مكة إلى قُصي بن كلاب، وهو الجد الرابع للنبي ﷺ ، وهو أول رجل من قريش يفرض سلطانه على مكة، ويتولى أمر البيت الحرام، وبدأ في تجميع قومه من منازلهم إلى مكة، وسُميَ من أجل ذلك مجمعًا لما جمَّع من أمر قريش.

وقد رضى بزعامته أهل مكة جميعًا؛ لأنهم فيما يبدو قد ملّوا سفه خزاعة وفسادها، كما يقول ابن إسحاق، وبذلك حاز قُصي شرف مكة كله، وقطع مكة رباعًا بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم، فسمته قريش مجمعًا، وتيمنت بأمره، فما تنكح امرأة، ولا يتزوج رجل من قريش، وما يتشاورون في أمر نزل بهم، ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلا في داره.

وبعد أن انفرد قُصي بزعامة مكة وأصبح فيها كالملك المتوج، بدأ يرتب أوضاع مكة في صورة جديدة أكثر تنظيمًا وتحديدًا،

١- فأنشأ دار الندوة ، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت تقضي قريش أمورها، فكان يجتمع فيها زعماء القبيلة بزعامته للتشاور في أمورهم السياسية والاجتماعية والأمور الدينية، التي تتعلق بالكعبة.

٢- وبدأ ترتيب الوظائف الدينية التي ترتبط بالكعبة على الصورة التالية:

أ- الرفادة: وهي إطعام الفقراء من الحجيج فرض (قصي) على قريش خرجاً تخرجه كل موسم من أموالها ، فيصنع به طعاماً لمن لم يكن له سعة ولا زاد من الحجاج.

ب- السقاية: وهي توفير الماء للحجيج عند زيارتهم الكعبة في الموسم، وكانت مهمة صعبة وشاقة خصوصًا بعد ردم بئر زمزم، وكان قُصي يُجهد نفسه في جلب الماء من الأماكن البعيدة لسقي الحجاج. فكانوا يملؤون حياضاً من الماء يحلونها بشئ من التمر والذبيب .

ج- الحجابة: وهي سدانة الكعبة، أي خدمتها وحفظها وتولي مفاتيحها، وأن تكون مفاتيح البيت بيده لا يُدخل إلا بإذنه.

٣- اللواء: وهو راية الحرب، التي كانوا يرفعونها فوق رمح عند إعلان الحرب على قبيلة أخرى، فكان لا يحمل اللواء في الحرب إلا قوم مخصوصون.

وقد تولى قُصي هذه المهام في حياته بنفسه، أو تحت رعايته وإشرافه، وقبل وفاته خص ولده البكر عبد الدار بكل تلك الوظائف والمهام.

عبد الدار بن قصي يخلف أباه في وظائف الكعبة:

كان لقُصي أربعة أولاد وهم، عبد الدار، وعبد مناف، وعبد العزى، وعبد قصي بن قصي، وكان عبد الدار هو أكبرهم، لا يدانيهم في الشرف والمكانة، فأراد أبوهم أن يعوض ابنه البكر عما قصرت به مواهبه عن إخوته، فعهد إليه بالمهام والمناصب التي كان يتولاها، ولم ينازع أبناء قُصي الثلاثة الآخرون أخاهم فيما عهد به إليه أبوهم، بل أذعنوا احترامًا لرغبة أبيهم، ولكن المنازعات بدأت بعد وفاة عبد الدار.

الخلاف بين أحفاد قُصي:

بعد وفاة عبد الدار نشب النزاع بين أبنائه وأبناء عمومتهم، خاصة أبناء عبد مناف بن قُصي، وهم عبد شمس، وهاشم، ونوفل، والمطلب.

فهؤلاء الأربعة أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قُصي من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم، وفضلهم في قومهم، فتفرقت عند ذلك قريش، فكانت طائفة مع بني عبد مناف، يرون أنهم أحق من بني عبد الدار لمكانتهم في قومهم.

وكانت طائفة مع بني عبد الدار يرون ألا يُنزع منهم ما كان قُصي جعل لهم.

المطيبين:

بني عبد مناف أخرجوا جفنة مملوءة طيبًا، فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم فيها، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم، توكيدًا على أنفسهم فسموا بالمطيبين.

الأحلاف:

أما الذين انحازوا إلى بني عبد الدار، تعاقدوا وتعاهدوا جميعًا مع بني عبد الدار، عند الكعبة أيضًا، على ألا يتخاذلوا، ولا يسلم بعضهم بعضا، فسموا الأحلاف، وبقيت بعض البطون من قريش على الحياد، فلم تنحز لأي من الفريقين.

النزوع إلى الصلح:

أخذت القبائل تتأهب إلى القتال، لكنهم سرعان ما تنادوا إلى

الصلح وحقن الدماء، وتوصلوا إلى حل وسط، وهو أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة، وأن يحتفظ بنوع عبد الدار، بالحجابة واللواء ودار الندوة، ورضى كل واحد من الفريقين بذلك.

ازدهار مكة في عهد زعامة بني عبد مناف

نتيجة للصلح الذي حدث بين أحفاد قُصيَّ بن كلاب آل إلى هاشم بن عبد مناف أمر الرفادة والسقاية، وقد سلَّم له بذلك إخوته وبنو عمومته؛ لأن أخاه عبد شمس كان رجلاً سفَّارًا قلما يقيم بمكة، كما كان مقلاً -أي قليل المال- وذا ولد، فترك أمر الرفادة والسقاية؛ (لأنه يتطلب إنفاق الأموال) إلى أخيه هاشم، الذي كان موسرًا، ذا مال، وكذلك يُروى أنه أول من أطعم الثريد للحجاج بمكة، وقيل إنما سُمي هاشمًا لأنه كان يهشم الخبز لقومه بمكة، وكان اسمه عمرًا.

ولم يقف كرمه وبره عند حجاج بيت الله الحرام في الموسم، بل كان غيَّاثًا لأهل مكة جميعًا في الشدائد، وهو الذي سن لهم رحلتي الشتاء والصيف، الأولى إلى اليمن، والثانية إلى الشام.

وكان هاشم قدم المدينة فتزوج سلمى بنت عمرو، من بني النجار ثم ذهب للتجارة ومات بالشام فولدت له عبد المطلب، فلما مات هاشم ولي مكة المطلب بن عبد مناف، فكان ذا شرف فيهم، يسمونه الفياض لسماحته، فلما كبر بن هاشم مع أمه سلمى في المدينة، خرج إليه المطلب ليأتي به، فأبت أمه، فقال: إنه يلي مُلك أبيه، فأذنت له، فرحل به، وسلم إليه مُلك أبيه، فولى عبد المطلب ما كان أبوه يلي، وشرُف في

قومه شرفًا لم يبلغه أحد من آبائه.

ازدهرت مكة وسمت مكانتها في أنحاء شبه الجزيرة العربية، واعتبرت العاصمة المعترف بها، وطوَّع هذا الازدهار لأبناء عبد مناف أن يعقدوا مع جيرانهم من الدول الكبرى معاهدات أمن وسلام.

حفر زمزم(١)

يقول عبد المطلب: إني لنائم في الحجر، إذ أتاني آت فقال: أحفر طيبة(٢)، قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب عني.

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر بره(٣)، فقلت: وما بره؟ قال: ثم ذهب عني.

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر المضنونة(٤)؟ فقلت: وما المضنونة؟ قال: ثم ذهب عني.

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر زمزم، قلت: وما زمزم؟ قال: لا تنزف أبدًا (لا يفرغ ماؤها)، ولا تذم (ولا توجد قليلة الماء)، تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل.

عبد المطلب يقوم بالحفر بنفسه:

فلما تبين لعبد المطلب شأنها، ودل على موضعها، وعرف أنه قد

---

(١) محمد النبي البر، لإبراهيم الإبياري.
(٢) لأنها للطيبين والطيبات.
(٣) لأنها فاضت على الأبرار.
(٤) لأنها يضن بها على غير المسلمين.

صدق، غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب، ليس له يومئذ ولد غيره، فوجد قرية النمل، ووجد الغراب ينقر عندها بين الاثنين (إساف ونائلة) اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها، فجاء بالمعول ليحفر حيث أُمر.

موقف قريش مما يفعله سيد قريش وشريفها:

فقامت إليه قريش حين رأوا جده فقالوا: والله لا نتركك تحفر عند وثنينا هذين اللذين ننحر عندهما، فقال عبد المطلب لابنه الحارث: زد عني حتى أحفر، فوالله لأمضين لما أُمرت به، فلما عرفوا أنه غير نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه، فلم يحفر إلا يسيرًا حتى بدا له الطي، فكبر وعرف أنه قد صدق.

فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب، وهما الغزالان اللذان دفنت جرهم فيها حين خرجت من مكة، ووجد فيها أسيافًا وأدراعًا.

وكانت الفرس تهدي إلى الكعبة أموالاً في صدر الزمان وجواهر، وقد كان ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب وجواهر وسيوفًا وذهبًا كثيرًا فقذفه (الجرهمي) في بئر زمزم، ودفن معهم حجر الركن الأسود.

فقالت له قريش: يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق، قال: لا، ولكن هلم إليَّ أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليه القداح، قالوا: وكيف تصنع؟ قال: أجعل للكعبة قدحين، ولي قدحين، ولكم قدحين، فمن خرج له قدحاه على شيء كان له، ومن تخلف قدحاه فلا شيء له، قالوا: أنصفت.

فجعل قدحين أصفرين للكعبة، وقدحين أسودين لعبد المطلب، وقدحين أبيضين لقريش، ثم أعطوا القداح صاحب القداح الذي يضرب بها عند هبل، وهبل صنم في جوف الكعبة، وهو أعظم أصنامهم، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل، فضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب، وتخلف قدحا قريش.

فضرب عبد المطلب الأسياف بابًا للكعبة، وضرب في الباب الغزالين من ذهب، فكان أول ذهب حليته الكعبة، ثم أقام عبد المطلب سقاية زمزم للحجاج، وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئارًا في أنحاء مكة، فعفت زمزم على البئار التي كانت قبلها، وانصرف الناس إليها لمكانها من المسجد الحرام، ولفضلها على ما سواها من المياه، ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها، وعلى سائر العرب.

قصة النذر والفداء:

عندما أخذ عبد المطلب بن هاشم يحفر زمزم، لم يكن معه سوى ابنه الحارث، ولما لقى من قريش ما لقى حين الحفر، وكذلك لما أحس بحاجته إلى أعوان يعينونه على مشقات الرفادة والسقاية، فنذر إن رزقه الله بعشرة من البنين، ثم بلغوا معه أن يمنعوه لينحرن أحدهم عند الكعبة لله (كما في نبي البر)، قربانًا للآلهة (كما في تاريخ الإسلام لعبد الشافي).

فلما توافى بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم ثم أخبرهم

بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كل رجل منكم قدحًا، ثم يكتب فيه اسمه، ثم ائتوني، ففعلوا ثم أتوه.

ودخل بهم على (هبل)، وكان هبل على بئر في جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يُهدى للكعبة، فقال عبد المطلب لصاحب القداح: اضرب على بني هؤلاء بقداحهم هذه، وأخبره بنذره الذي نذر.

عبد الله: زين شباب مكة، عمره ٢٤ عامًا، كان أصغر إخوته عند ذلك الوقت، أثناء حادثة الذبح والفداء؛ لأنه ولد لعبد المطلب أولاد بعد ذلك كانوا أصغر من عبد الله، فالعباس بن عبد المطلب، وُلد قبل رسول الله ﷺ بثلاث سنوات، وحمزة بن عبد المطلب من سن رسول الله ﷺ ؛ لأنه كان يرضع معه من ثوبية جارية أبي لهب.

وكان (عبد الله) أحب ولد عبد المطلب إليه، وكان وسيمًا جميلاً. لما أخذ صاحب القداح، القداح ليضرب بها، قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله.

ثم ضرب صاحب القداح، فخرج القدح على عبد الله، فأخذه عبد المطلب بيده، وأخذ الشفرة، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه.

موقف قريش من ذبح عبد الله:

قامت قريش لعبد المطلب فقالوا: ماذا تريد يا عبد المطلب؟ قال: أذبحه، فقالت له قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبدًا حتى تُعذر فيه لئن

فعلت هذا، لازال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه، فما بقاء الناس على هذا، انطلق به إلى الحجاز فإن به عرافة لها تابع فسلها، ثم أنت على رأس أمرك، إن أمرتك بذبحه ذبحته، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته، فانطلقوا حتى قدموا المدينة، فوجدوها بخيبر، فركبوا حتى جاؤها فسألوها، وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه، وما أرادوا به، ونذره فيه.

فقالت لهم: ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله، فرجعوا من عندها، فلما خرجوا عنها، قام عبد المطلب يدعو الله، ثم عدوا عليها، فقالت لهم: قد جاءني الخبر، كم الدية فيكم؟ قالوا عشر من الإبل – وكانت كذلك–، قالت: فارجعوا إلى بلادكم، ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرًا من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح، فإن خرجت على صاحبكم، فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه، فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم.

فخرجوا حتى قدموا مكة[١]: وأقرع بين عبد الله وبين عشر من الإبل فوقعت القرعة على عبد الله، فلم يزل يزيد من الإبل عشرا عشرا ولا تقع القرعة إلا عليه إلى أن بلغت الإبل مائة فوقعت القرعة عليها، فنحرت عنه، ثم تركها عبد المطلب لا يرد عنها إنسانًا ولا سبعًا، وكانت الدية في قريش وفي العرب عشرًا من الإبل، فجرت بعد هذه الوقعة مائة من الإبل

---

(١) الرحيق المختوم.

(سُنة الدية) وأقرها الإسلام.

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا ابن الذبيحين»، يعني إسماعيل، وأباه عبد الله.

لمحة عن آمنة من كتاب تراجم سيدات بيت النبوة، د. عائشة عبد الرحمن:

آمنة كانت أفضل فتاة في قريش نسبًا وموضعًا، وقد عرفت في طفولتها ابن العم عبد الله بن عبد المطلب، عرفته قبل أن ينضج صباها ويحجبها خدرها، وتلاقت وإياه في الطفولة البريئة على روابي مكة وبين ربوعها، وفي ساحة الحرم الأمين، ثم حُجبت آمنة حين لاحت بواكير نضجها، في الوقت الذي كانت فيه خطوات عبد الله تسرع به إلى الشباب وتسابق الفتيان إلى (زهرة قريش) يلتمسون يدها ويزفون إليها مالهم من مآثر وأمجاد، ولم يكن عبد الله من بينهم، مع إنه الجدير بأنه يحظى بيدها دونهم جميعًا، فما كان فيهم من يدانيه شرفًا ورفعة وفتوة، فهو ابن عبد المطلب، وزين شباب مكة، وأعز أبناء عبد المطلب على أبيه وعلى قريش جميعًا.

الوفاء بالنذر

أصبحت قريش ذات يوم قبل المبعث بـ ٤١ سنة ولا حديث لها إلا عبد المطلب الذي خرج ببنيه العشرة إلى الكعبة، مستسلمين للمصير المحتوم.

وخفقت قلوب نساء قريش عطفًا وحنانًا في انتظار اللحظة الفاصلة، ولعل عددًا منهن قد ذهب فيمن ذهب إلى الكعبة، ليسمع كلمة السماء في الذبيح المختار، على حين بقيت آمنة مع من بقين، لا تستطيع أن تبرح دار أبيها، وإن أقامت تترقب الأخبار في لهفة، وهي: أي بني العم عبد المطلب يختاره رب الكعبة وفاءً بنذر شيخ الهاشميين.

ومضت الساعات ثقيلة بطيئة، وما من عائد يخبر مما كان هناك في الحرم، ثم انتشر الخبر فجأة في أرجاء مكة، متنقلاً بين أندية قريش ودورها حتى بلغ سمع بنت وهب لقد اختارت الكعبة عبد الله ذبيحًا، كان عبد الله شابًا وسيمًا قويًا، فكان من أجمل الشباب وأكثرهم سحرًا وذيوع صيت في مكة.

ووجمت آمنة للنبأ، كما وجمت كل قرشية يعز عليها أن ينحر زين شباب مكة، وأعز أبناء عبد المطلب على أبيه وعلى قريش جميعًا، وبكت بنات عبد المطلب، وكن قيامًا هناك ينتظرن أمر الله، وتتابعت الأخبار بعد ذلك سراعًا تصف كيف كان عبد المطلب يُنَقِّل بصره (عينيه) بين أبنائه العشرة حتى استقرت نظراته آخر الأمر على أصغرهم عبد الله، ففاض قلبه رقة وحبًا وإشفاقًا، ومرت لحظات من الصمت، وخيم الوجوم الحزين على

الأفق، وجمدت الأعين فما تجود بدمعة.

وأقفرت دار سيد بني زهرة من رجالها، كما أقفرت أندية قريش جميعًا ودورها، فهل ذهبوا ليشهدوا مذبح عبد الله، ويكونوا إلى جانب أبيه وهو يعاني التجربة الرهيبة والبلاء المبين؟

هكذا ظنت آمنة وتمنت في تلك اللحظة لو استطاعت أن تنطلق في إثر قومها، وهم يسعون إلى الحرم مهرولين، ولكن ماذا كان بوسعها، لو أنها استطاعت الذهاب إلى الحرم، أن تصنع من أجل إنقاذ ابن العم؟

وولىّ النهار، وأقبل ليل كثيف السواد، ورجال قريش لم يئوبوا بعد إلى دورهم، ما الذي أمسكهم هناك وعاقهم؟ لم تكن آمنة تدري حتى عاد من يخبر، أن الرجال قد ارتحلوا عن مكة، وقال: أشارت عليه قريش أن يذهبوا إلى عرافة خيبر، وقالت قريش فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه، رحلوا في طريق خيبر وتركوا وراءهم قلوبًا واجفة، وعيونًا مسهدة، وألسنة ضارعة في جوف الليل تدعوا الله للمستشهد الصابر عبد الله زين الشباب من بني هاشم.

وأعقبت رحيلهم أيام قاربت العشرين عدًا، وبقيت أندية قريش، ومسامرها طوال تلك المدة مقفرة خلاء، وغشيت بيوتها غاشية من القلق والهم والانتظار، وتعلقت العيون والقلوب بمشارف الطريق الآتي من الشمال ترقب عودة الركب الراحل، وأرهفت الآذان لعلها تتسمع نبأً عن مصير الفتى العزيز.

وتوقفت الحياة أو كادت في تلك الأيام العشرين، فقد غاب عن

مكة شيخها وفتاها ومعهما سادة قريش، وراح العبيد والإماء يسعون بين الدور وممر القوافل يلتمسون هنالك وافدًا من خيبر، يعرف شيئًا من أنباء الركب الغائب.

وشهدت الليالي نفرًا من العقائل الكريمات يتسللن من أحياء قريش، محجبات بستار من الظلمة، فإذا بلغن الحرم، تعلقن بالكعبة، مبتهلات متوسلات، ثم انطلقن على أثر ذلك، إلى المسعى بين الصفا والمروة، يدعون الله أن يستجيب لضراعتهن كما استجاب لضراعة هاجر في هذا المكان، وأن ينقذ عبد الله كما أنقذ جده إسماعيل، وأخيرًا وصل الركب، ودخل مكة على عجل ساعيًا نحو ساحة الحرم، وهناك لبثوا قائمين يدعون، على حين مضت رسلهم إلى أحياء قريش تجمع الإبل وتسوقها نحو البيت العتيق.

وسعى غلام من موالي بني زهرة يحدث سيدات البيت القرشي عما شاع في البلد الحرام وذاع، من خبر العرافة والنذر.

أقبلت بُرة أم آمنة فقصت على ابنتها قصة الفداء تمهيدًا (كيف افْتُدِيَ عبد الله من النحر) وإذ هما في مجلسهما دخل أبوها عليهما وقال لها: إن شيخ بني هاشم قد جاء يطلبك زوجة لفتاه عبد الله، وعاد من فوره إلى ضيفه الكريم وترك آمنة في شبه ذهول، وهي تقول لنفسها أحقًا آثرتها السماء بفتى هاشم زوجًا؟

فاحتضنت أمها وطاب لها أن تبقى هكذا في حضن أمها صامتة هادئة، لولا أن سيدات آل زهرة توافدن واحدة في أثر أخرى مهنئات

مباركات، وأحطن بالعروس يتحدثن عما ترامى إليهن من تعرض نساء من قريش لعبد الله، ووقوفهن في طريقه بين الحرم ودار وهب، يعرضن أنفسهن عليه عرضًا صريحًا بادي اللهفة.

وسمعت آمنة من حديثهن ذاك عجبًا، وذلك بعدما نحرت المائة إبل، انصرف عبد المطلب آخذًا بيد عبد الله، فمر به على:

١- بنت نوفل: أخت ورقة بن نوفل وهي عند الكعبة، فقالت له حين نظرت إلى وجهه: أين تذهب يا عبد الله؟ قال: مع أبي، قالت: لك مثل الإبل التي نحرت عنك وتتزوجني؟ قال: أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه.

٢- فاطمة بنت مر: وكانت من أجمل النساء وأعفهن، أو كانت كاهنة من خثعم، دعته إلى نكاحها، وقد كانت قرأت الكتب.

٣- ليلى العدوية: قيل أنها عرضت نفسها عليه يومئذ فلم يستجيب لها.

بهذا ومثله كانت النساء يتحدثن إلى زهرة قريش حين توافدن عليها للتهنئة، ولعلهن التمسن لهؤلاء النسوة عذرًا: أن كان (عبد الله) الذبيح المفتدى، وأنه لم يُفْدَ أحد قبله بمائة من الإبل، وما رُئي رجل في قريش قط أحسن منه.

هنيئًا لك يا آمنة، لقد ظفرت بمن تقطعت قلوب سيدات مكة من أجله، فقد قيل: فلما خطب (آمنة بنت وهب) تحطمت قلوب كثيرات من سيدات مكة.

كانت قصة الفداء قد هزت قلوب المكيين تعلقًا بالشاب الذي مست الشفرة منحره وهو صابر مستسلم لأمر الله، راضي بقدره، حتى إذا لم يبق بين وبينه الموت إلا قيد شعرة، أنقذه الله بأغلى فدية عرفها العرب! وأضيئت المشاعل في شتى أرجاء البلد الحرام الآمن، وحفلت دار الندوة بوجوه قريش وسادتها، وسهرت مسامر البلدة المقدسة تسترجع قصة الذبيح الأول حين مضى به أبوه إبراهيم إلى الجبل لكي يذبحه طاعة وتعبدًا، فافتداه الله بكبش بعد أن كان من الموت قاب قوسين أو أدنى.

إنها القصة التي تناقلها آباؤهم وأجدادهم جيلاً بعد جيل: تعود فتمثل على المسرح نفسه في البيت العتيق الذي رفع القواعد منه إبراهيم وولده إسماعيل، الذبيح المفتدى، والذبيح هذه المرة هو حفيد أصيل من ذرية إسماعيل التي انتشرت في الأرض وتوارثت مجد الجدود.

فماذا ينتظر (عبد الله) من أمر ذي شأن، كذلك الذي كان لإسماعيل بعد الفداء.

العُرس:

واستغرقت الأفراح ثلاثة أيام بلياليها، كان عبد الله أثناءها يقيم مع عروسه في دار أبيها على عادة القوم، وفي اليوم الرابع سبقها إلى داره كي يهيئها لاستقبالها، ثم ذهبت إليه في رفقة أهلها، إلى بيتها الجديد (فناء عرضه ستة أمتار وطوله اثنى عشر مترًا وفي آخره حجرة).

تكلمت معه على من عرضن عليه أنفسهن، فقال لها: القصة لها بقية، فقالت: أخاطبات جديدات يطلبن القرب من فتى مكة الأوحد؟ قال:

بل زاهدات فيه، منصرفات عنه، كأن لم يكن هو نفسه الذي تعلقن به منذ أيام، كأنه أُبدل خلقًا جديدًا، مررت بهن اليوم في طريقي بين دار أبيك ودارنا هذه، فأشحن عني بوجوههن معرضات، إلى حد آثار عجبي وفضولي إلى معرفة سر هذا الانقلاب، فسألت:

١- بنت نوفل: فقالت إجابة عجيبة، فارقك النور الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك اليوم حاجة! (وكانت تسمع من أخيها أنه سيكون في هذه الأمة نبي).

٢- وكذلك أعرضت عني فاطمة بنت مر قائلة: رأيت في وجهك نورًا فأردت أن يكون لي فأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد، فما صنعت بعدي؟ قلت: زوجني أبي آمنة بنت وهب.

٣- وأما ليلى العدوية فأجابت: مررت بي وبين عينيك غرة بيضاء فدعوتك فأبيت عليَّ ودخلت على آمنة فذهبت بها.

قالت آمنة: بالنسبة لأخت ورقة بن نوفل فهو قد تنصر واتبع الكتب، وبشر بأن سيكون في هذه الأمة نبي! كذلك (فاطمة بنت مر) قد قرأت في الكتب كذلك، وهي كاهنة خثعم. ورأت آمنة في منامها في تلك الليلة كأن شعاعًا من النور ينبثق من كيانها اللطيف فيضيء الدنيا من حولها حتى لكأنها ترى به قصور بصري من أرض الشام، وسمعت هاتفًا يهتف بها، إنك قد حملت بسيد هذه الأمة.

وربما تذكرا خبر (سوداء بنت زهرة الكلابية)، إذ وُلدت ورآها أبوها زرقاء شيماء فأراد وأدها، فأتى الحجون ليدفنها هناك، فلما حفر لها

الحافر، سمع هاتفًا يقول: لا تئد الصبية وخلها في البرية، فكانت كاهنة قريش، فقالت يومًا لبني زهرة: إن فيكم نذيرة أو تلد نذيرًا، فاعرضوا عليّ بناتكم، ففعلوا، فقالت لكل واحدة قولاً ظهر بعد حين، حتى عُرضت عليها آمنة فقالت: هذه النذيرة أو تلد نذيرًا.

موت العريس المفتدى من الذبح:

وبقي عبد الله مع عروسه عشرة أيام (وقيل عدة شهور) لحق بعدها بالقافلة التجارية المسافرة إلى غزة والشام في عير قريش، وقال لآمنة: إن هي إلا بضعة أسابيع ثم أعود، وتركها مع جاريتها أم بركة، وآثرت آمنة العزلة على الأنس بالأهل والصواحب، ومضى شهر لا جديد فيه سوى أنها شعرت بالحمل شعورًا رقيقًا لطيفًا، بأن رفعت حيضتها، ولم تجد له ثقله كما تجد النساء.

وآتاها الهاتف قائلاً: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيها، وجاء الشهر الثاني وأوشكت القافلة أن تعود، ثم لما لاحت طلائعها، وقفت في ساحة الدار تنتظر أن يفتح الباب الخارجي ويدخل منه الحبيب، وطال الانتظار، وطال، وانتبهت فجأة إلى غيبة جاريتها بركة، وكانت قد ذهبت منذ شاع خبر قدوم المسافرين، كي تعجل بالبشرى إلى سيدتها وتناهى إلى أذنيها ضجيج اللقاء في الدور المتاخمة لدارها، فأين عبد الله؟

ما الذي أمسكه عنها فلم يَعجَل إليها؟

لعله لقى –في طوافه بالكعبة إثر عودته– من احتجزه حينًا، أو لعل أباه الشيخ آتٍ في صحبته، فما يستطيع عبد الله إلا أن يمشي على مهل،

رعاية لشيخوخة أبيه، أو لعل... ولعل.

ثم سمعت خطوات تدنو من الدار، فتعلقت عيناها بالباب حتى إذا فتح الباب بعد لحظة، لم يكن عبد الله هو القادم، وإنما جاء عبد المطلب الشيخ في صحبة أبيها ونفر من أهلها المقربين، وقد غشيت وجوههم غاشية من القلق، وكانت بركة أم أيمن تمشي في أثرهم متخاذلة مطرقة تحاول أن تخفي دمعة أفلتت من مقلتيها.

فقال أبو آمنة: ما في الأمر ما يدعو لمثل هذا الجزع، أخبرنا رفاقه أن وعكة طارئة ألمت به، وهو في طريقه إلينا، وعما قريب يبرأ ويعود سالمًا إليك وإلى مكة وقريش.

وقال عبد المطلب: وعكة بسيطة، وقد قال الرفاق خلَّفناه بيثرب عند أخواله، فبعثت إليه أخاه الحارث كي يكون معه ويصحبه في طريقه إلينا فاصبري وادعي له فقالت: أفعل يا عم، وأتم الشهر الثاني دورته، وآمنة تدعو لعل الله يرد عليها ذاك الغائب الذي افتُدى بالأمس أغلى فداء.

وبعد حين عاد الحارث بن عبد المطلب وحده، لقد مات عبد الله وهو بين أخواله بني النجار، ودفن هناك ولم يُقبل فيه هذه المرة أي فداء ووجمت آمنة للخبر، وقست عيناها فما تسعفانها ببكاء، فلبثت أيام لا تكاد تصدق النعي، حتى إذا تيقنت من الكارثة، فاضت عبراتها.

ولبست مكة كلها ثوب الحداد، وما يزال في يديها خضاب العُرس، كانوا يقولون: مادام الله قد كتب عليه الموت هكذا سريعًا ففيم كان

الفداء، من كان يظن حين نُحرت الإبل المائة بالحرم وتركت لا يُصَد عنها إنسان ولا سبع، أن المنايا واقفة بالمرصاد للذبيح المفتدى، على قيد خطوات معدودات.

ورفضت آمنة أن تقبل في عبد الله عزاء، وخشى آل هاشم وزهرة على آمنة من شدة الحزن، ولبثت مكة شهر وبعض شهر، وهي ترقب في قلق إلى أين تنتهي الأحزان بالأرملة العروس، وأحاط العواد بفراش آمنة، وهي في غمرة أحزانها لا تفتأ تسأل كل وافد ووافدة من أهلها، فيم كان العُرس الحافل ويد القدر تحفر له لحَدَه بيثرب؟

وأُلهمت: كأني عرفت سر الذي كان، إن عبد الله لم يفد من الذبح عبثًا، لقد أمهله الله ريثما يودعني هذا الجنين، الذي أحسست به اللحظة يتقلب في أحشائي، والذي من أجله يجب أن أعيش. لم يلطف من أحزانها إلا حركة الجنين في رحمها، ومن تلك اللحظة الحاسمة، أنزل الله سكينته على آمنة، فطوت أحزانها في أعماقها، وبدأت تفكر في ابنها الذي يحيا بها ويحييها، فوجدت في الجنين ابن عبد الله ما يلطف من حزنها الثقيل عليه، وقد تقدمت بها أشهر الحمل، وسمعت قبل مولده من يهتف بها من جديد، أنها توشك أن تضع سيد هذه الأمة، ويأمرها أن تقول حين تضعه، أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، ثم تسميه محمدًا.

حتى إذا أوشك أن يتم أجله، جاءها عبد المطلب يطلب إليها أن تتهيأ للخروج من مكة مع قريش، حيث رأى لهم أن يتحرزوا في شعف الجبال والشعاب تخوفًا من معرَّة الجيش الحبشي الذي جاء به أبرهه

الحبشي من اليمن لهدم الكعبة.

وعز على آمنة أن تلد جنينها الغالي الذي قاربت أن تضعه، بعيدًا عن البلد الحرام، وفي غير دار أبيه عبد الله، ولكن رد الله كيد أبرهه وحمى الكعبة، ورجعت آمنة إلى دار عبد الله، وبعد حوالي خمسين يومًا من حادثة الفيل، قد جاءها المخاض ووضعت المولود الذي ملأ الدنيا حولها نورًا وأُنسًا وجمالاً.

ولما طلع الصبح أول ما فعلته أن أرسلت إلى جده عبد المطلب ثم حمل حفيده بين ذراعيه في رفق وخرج إلى الكعبة، وطاف به وهو يدعو الله ويشكره على أن وهبه ولدًا من ابنه الفقيد الغالي، ثم رده إلى أمه، وعاد لينحر الذبائح، ويطعم أهل الحرم.

سألت قريش شيخها عن اسم حفيده فأجاب: أردت أن يكون محمودًا في الأرض وفي السماء، ورأى عبد المطلب كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره، بها طرف في السماء وطرف في الأرض، ثم عادت كأنها شجرة، وعلى كل ورقة فيها نور، وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلقون بها، فقصها فعُبرت له بمولود من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب، ويحمده أهل السماء والأرض، وقد تسامعت بيوتات مكة بالنبأ السعيد فتوافدت عقائل قريش على دار عبد الله يهنئن آمنة.

وكانت بلاد العرب آنذاك تموج بأقوال مرهصة بنبي منتظر قد تقارب زمانه، يتحدث به الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى، والكهان من العرب.

آمنة كانت من صميم البيئة الرفيعة الحاكمة في مكة:

ومن شأن نساء هذه البيئة أن يرنوا إلى بعيد، وأن يرجون للأجنة في بطونهن مجدًا لم يسبق إليه أحد، ثم لم تكد ثوبيه جارية عمه أبو لهب توافى سيدها ببشرى المولد حتى أعتقها، فالبيت الهاشمي كله كان مسرورًا بالمولود العزيز.

يقال إن (العباس بن عبد المطلب) رأى أخاه (أبا لهب) بعد موته بسنة، فسأله عن حاله، فأجاب أبو لهب: في النار إلا أن العذاب خفف عني كل ليلة اثنين، بماء أمصه من بين إصبعي هاتين، وذلك أني أعتقت ثوبية حين بشرتني بولادة النبي ﷺ .

أحست آمنة بعد أن وضعت وليدها أن الشطر الأهم من رسالتها قد انتهى بمولد ابنها المبشر بأنه سيد البشر، كما انتهت رسالة أبيه عبد الله منذ أن أودعها جنينًا في أحشائها، فأسلمت نفسها من جديد لأشجان الذكرى إلى حد أثر في صحتها.

ذلك أن جزءًا من رسالتها لم ينته بعد، فما يزال عليها أن ترعى ولدها حتى يبلغ معها السعي، فتحدثه عن أبيه ثم تصحبه إلى يثرب، حيث يزوران قبر فقيدهما الغالي، وأقبلت على صغيرها ترضعه ريثما تفد المراضع من البادية، فيذهبن به مع لداته من رضعاء قريش بعيدًا عن جو مكة الخانق، لكن لبن آمنة جف بعد أيام لما أصابها من حزن لموت زوجها، فدفعت به إلى ثوبية جارية عمه عبد العزى، وكانت قد أرضعت قبله عمه حمزة بن عبد المطلب بلبن ابنها مسروح، ولم تمض أيام

معدودات حتى وفدت المراضع من بني سعد من بكر، وقد أرضعت ثوبية بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي.

رسول الله ﷺ لم يكن ذا ثراء عريض يكافئ نسبه الشريف، فلقد مات أبوه عبد الله في حياة عبد المطلب، فلم يرث عنه مالاً، فعبد الله مات صغيرًا قبل أن يكون ثروة.

نبذة عن دين إبراهيم
وكيف تبدل على يد عمرو بن لحى

صارت ولاية البيت ومكة لإسماعيل، ثم لذريته من بعده، وانتشرت ذريته في الحجاز وكثروا، وكانوا على الإسلام دين إبراهيم وإسماعيل قرونًا كثيرة.

ولم يزالوا كذلك حتى جاء (عمرو بن لحي) فابتدع الشرك وغير دين إبراهيم، فكان عمرو بن لحى رئيس خزاعة، فإنه نشأ على أمر عظيم من المعروف والصدقة، والحرص على أمور الدين فأحبه الناس حبًا عظيمًا؛ ولأجل ذلك ملكوه عليهم، وصار مُلك مكة وولاية البيت بيده، وظنوا أنه من أكابر العلماء وأفاضل الأولياء، ثم إنه سافر إلى الشام، فرآهم يعبدون الأوثان فاستحسن ذلك وظنه حقًا؛ لأن الشام محل الرسل والكتب، فلهم الفضيلة بذلك على أهل الحجاز وغيرهم، فرجع إلى مكة وقدم معه بهُبَل، وجعله في جوف الكعبة، ودعا أهل مكة إلى الشرك بالله فأجابوه.

وأهل الحجاز في دينهم تَبَعٌ لأهل مكة؛ لأنهم ولاة البيت وأهل الحرم، فتبعهم أهل الحجاز على ذلك ظنًا أنه الحق، وفيهم جميعًا بقايا من دين إبراهيم لم يتركوه، فلم يزالوا على ذلك حتى بعث الله محمدًا ﷺ بدين إبراهيم عليه السلام، وإبطال ما أحدثه عمرو بن لحى[1].

وكان أهل الجاهلية على ما أحدثه عمرو بن لحى فيهم من الشرك، فكان منهم بقايا من دين إبراهيم ولم يتركوه كله، مثل تعظيم البيت

---

(١) مختصر سيرة الرسول ﷺ للإمام محمد بن عبد الوهاب شيخ الإسلام.

والطواف به، والحج والعمرة، والوقوف بعرفة، والمزدلفة وإهداء البدن.

قال النبي ﷺ : «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قُصْبَهُ في النار.... الحديث»، وكان عمرو بن لحى سادن الكعبة[١]، وكان سيد خزاعة، كاهنًا وله رئيٌ من الجن فأمره أن يأتِ جدة ويحضر منها أصنامًا يدعوا العرب لعبادتها ففعل.

(١) تاريخ الإسلام للدكتور عبد الشافي محمد عبد اللطيف.

الحمس[١]
أهل الحرم

قالت قريش: نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم وولاة البيت، فليس لأحد من العرب مثل حقنا، فلا تعظموا أشياء من الحل مثلما تعظمون الحرم، لئلا يستخف العرب بحرمتكم. فتركوا الوقوف بعرفة والإفاضة منها، مع معرفتهم أنها من المشاعر، ومن دين إبراهيم [وإنما كانوا يفيضون من المزدلفة] ويرون لسائر العرب أن يقفوا بها، ويفيضوا منها، إلا أنهم قالوا: نحن أهل الحرم فلا ينبغي لنا أن نخرج منه، نحن الحمس، و(الحمس) أهل الحرم.

أصله من التحمس وهو التشدد والتنطع في الدين، بقصد الترافع والتعالي على غيرهم، وسميت قريش حسمًا لتشددهم وتنطعهم فيما ابتدعوه من الدين الذي خالفوا به الناس، يريدون الشرف عليهم والعلو في الأرض، وكانت هذه من صوفية قريش.

ثم قالوا: لا ينبغي لأهل الحِل أن يأكلوا من طعام جاءوا به من الحل إلى الحرم، إذا جاءوا حجاجًا أو عمارًا، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا -أول طوافهم- إلا في ثياب الحمس، فإن لم يجدوا منها شيئًا طافوا بالبيت عراة، الرجال فقط، وكانت المرأة تضع ثيابها كلها إلا درعا مفرجًا ثم تطوف فيه وتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله ... وما بدا منه فلا أحله

وكانت قريش لا يأتون بيوتهم من أبوابها في حال الإحرام، بل كانوا

(١) مختصر سيرة الرسول ﷺ للإمام محمد عبد الوهاب شيخ الإسلام.

ينقبون في ظهورها[١].

المولد وأربعون عامًا قبل النبوة[٢]

ولد سيد المرسلين محمد ﷺ بشعب بني هاشم بمكة في صبيحة يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول، لأول عام من حادثة الفيل.

في بني سعد: كانت العادة عند الحاضرين الأشراف من العرب أن يلتمسوا المراضع لأولادهم، ابتعادًا لهم عن أمراض الحواضر، ولتقوى أجسامهم، وتشتد أعصابهم، ويتقنوا اللسان العربي في مهدهم.

فالتمس عبد المطلب لرسول الله ﷺ الرضعاء، واسترضع له امرأة بني سعد بن بكر، وهي حليمة بنت أبي ذؤيب، وزوجها الحارث بن عبد العزى المكنى بأبي كبشة من نفس القبيلة، وإخوته من الرضاعة: عبد الله بن الحارث، أنيسة بنت الحارث، حذافة أو جذامة بنت الحارث وهي (الشيماء)، لقب غلب على اسمها.

وكان حمزة بن عبد المطلب مسترضعًا في بني سعد بن بكر فأرضعت أمه رسول الله ﷺ يومًا وهو عند أمه حليمة، فكان حمزة رضيع رسول الله ﷺ من وجهين: من جهة ثوبية، ومن جهة السعدية.

ورأت حليمة من بركته ﷺ ما قصت منه العجب، قالت حليمة[٣]: أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه، في نسوة من بني

(١) الرحيق المختوم: ص٣٥.
(٢) الرحيق المختوم.
(٣) محمد نبي البر.

سعد بن بكر تلتمس الرضعاء، وذلك في سنة شهباء ولم تبق شيئًا، قالت: فخرجت على أتان لي قمراء (في لونها خضرة)، معنا شارف –ناقة مسنة– لنا، والله ما تبض (ما ترشح) بقطره، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا، من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه، ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج.

فخرجت على أتاني[١] تلك حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم، وذلك أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول يتيم وما عسى أن تصنع أمه وجده، فكنا نكرهه لذلك.

فما بقيت امرأة قدمت معنا إلا أخذت رضيعًا.. غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي، ولم آخذ رضيعًا، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه، قال: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة.

قالت: فذهبت إليه فأخذته، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره، فلما أخذته رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليَّ ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روى، وشرب معه أخوه حتى روى، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا إنها لحافل، فحلب منها ما شرب، وشربت معه، حتى انتهينا ريًا وشبعًا، فبتنا

(١) أتاني: حمار.

بخير ليلة.

قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: اعلمي والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة، فقلت: والله إني لأرجو ذلك، قالت: ثم خرجنا، وركبت أنا أتاني، وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حمرهم، حتى إن صواحبي ليقلن لي: يابنة أبي ذؤيب، ويحك، أربعي علينا –انتظري– أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله إنها لهي، فيقلن: والله إن لها لشأنًا.

قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروحُ عليّ حين قدمنا به شباعًا لبنًا، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم! إسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروحَ أغنامهم جياعًا ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعًا لبنًا.

فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتان وفصلته، وكان يشب شبابًا لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتان حتى كان غلامًا جفرًا (شديد)، قالت: فقدمنا على أمه، ونحن أحرص شيء على مكثه فينا، لما كنا نرى من بركته، فكلمنا أمه وقلت لها: لو تركت بني عندي حتى يغلظ، فإني أخشى عليه وباء مكة، قالت: فلم نزل بها حتى ردته معنا، فرجعنا به.

وهكذا بقى رسول الله ﷺ في بني سعد حتى إذا كانت السنة الرابعة أو الخامسة من مولده وقع حادث شق الصدر (يقول مؤلف الرحيق

المختوم: هذا ما ذهب إليه عامة أهل السير، وبمقتضى سياق رواية ابن إسحاق أنه في السنة الثالثة).

روى مسلم عن أنس أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل، وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء من زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده إلى مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه – يعني ظئره– فقالوا: إن محمدًا قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه، فالتزمته والتزمه أبوه ورجعنا إلى خبائنا.

قالت: وقال لي أبوه: يا حليمة، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب، فالحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك عليه، فاحتملناه فقدمنا به على أمه، قالت: ما أقدمك به وقد كنت حريصة عليه، وعلى مكثه عندك؟ فقلت: فقد بلغ الله بابني وقضيت الذي عليّ، وتخوفت عليه الأحداث فأديته إليك كما تحبين، قالت: ما هذا شأنك..؟ فاصدقيني خبرك.

قالت: فلم تدعني حتى أخبرتها، قالت: أفتخوفت عليه الشيطان؟ قلت: نعم، قالت: كلا، والله ما للشيطان عليه من سبيل وإن لبني لشأنًا، أفلا أخبرك بخبره؟ قلت: بلى، قالت: رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي قصور بصري من أرض الشام، ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف عليَّ ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض، رافع رأسه إلى السماء، دعيه عنك وانطلقي راشدة.

وكان رسول الله ﷺ مع أمه وجده عبد المطلب في كلاءة الله

وحفظه، ينبته الله نباتًا حسنًا لما يريد به من كرامته[١].

الرحلة إلى يثرب[٢]:

احتضنت آمنة وحيدها اليتيم بعد أن بلغ مقامه في البادية أقصى أجله، ورجعت به حليمة السعدية إلى البلد الحرام حيث مجد آبائه العريق، ومجد موطنه العتيق، وعاد فبدد بنوره ظلال الكآبة التي كانت تغشى دنيا أمه في وحدتها وترملها الباكر.

لم تكف عن التحدث إليه عن والده الغائب ووصف شمائله، ورواية قصة فدائه، وقد بذلت الأم لولدها في تلك الفترة غاية العناية والرعاية، فبدت على محمد ﷺ بوادر النضج المبكر، فكان مع أمه في كلاءة الله وحفظه ينبته الله نباتًا حسنًا.

فعندما بلغ السادسة من عمره رأت فيه مخايل الرجل العظيم الذي طالما تمثلته ووُعِدَتْ به في رؤاها، فحدثته عن رحلة يقومان بها معًا إلى يثرب كي يزورا قبر الحبيب الثاوي هناك، وفرح الابن لفكرة السفر، وسره أن يصحب أمه في زيارتها لمثوى فقيدهما، وأن يتعرف في الوقت نفسه إلى أخوال أبيه المقيمين في يثرب.

أم عبد المطلب هي سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية، فهذه خئولة محمد ﷺ في بني النجار، وكانوا ذوي شرف هناك وجاه عريق.

وكان الجو صيفًا، والشمس تلهب صخور مكة، وتصهر رمالها حين

(١) محمد نبي البر.
(٢) تراجم سيدات بيت النبوة، د. عائشة عبد الرحمن.

بدأت السيدة آمنة تتهيأ لرحلة طويلة شاقة، ولم تكن تجهل مشقة السفر عبر الصحراء القاحلة ذات الرمال المتحجرة، ولكن شوقها إلى زيارة يثرب كان أقوى من أن تغلبه عقبات السفر (الذي هو قطعة من العذاب).

وشغلت أيامًا بتجهيز راحلتها وإعداد مئونة الطريق، ثم زودت ناقتها بهودج من أغصان ذي مظلة مرفوعة، تحجب الشمس عن الابن العزيز، وأقامت بعد ذلك تنتظر أول قافلة تخرج من مكة نحو الشمال في رحلة الصيف الموسمية، فلما أذن المؤذن بالرحيل، ضمت إليها ولدها وركبت راحلتها، تصحبها الجارية الوفية بركة أم أيمن.

وهناك بعد ترحيب القوم بهم، زارت القبر ثم خلت بين ولدها وبين الحياة الجديدة مع أبناء أخواله، يلعبون ويمرحون ويتعلم السباحة مثلهم في مجامع المياه، بينما هي عكفت على قبر الحبيب تناجيه حينًا، وتبكيه أحيانًا، وطاب لها العيش شهرًا كاملاً، نفَّست فيه عن حزنها المكبوت، وأسعفتها عيناها بما شاءت من دمع، وتمتع ولدها بالجو اللطيف وبصحبة رفاقه من بني الخال، وقبل أن تشد رحالها عائدة إلى مكة، ودعت مضيفيها شاكرة لهم ما لقيت ولقى ولدها من جميل ترحابهم وكرم ضيافتهم، ثم ركبت راحلتها وركب معها ولدها وجاريتها نحو مكة.

الوداع:

وإذ هم في بعض مراحل الطريق بين البلدتين، هبت عاصفة عاتية هوجاء، أخذت تسفع المسافرين بريحها المحرقة، وتثير من حولهم الرمال كأنه الشرر الملتهب، فتأخرت الرحلة أيامًا ريثما هدأت العاصفة وسكنت

ثائرتها، ثم استأنف الركب سيره، وقد شعرت آمنة بضعف طارئ، وبدا عليها الإعياء، وأحست آمنة أنه الأجل المحتوم، وتشبثت بوحيدها معانقة، وقد انهمرت الدموع من عينيها، فأخذ يجفف دمعها بيده اللطيفة، وفجأة تراخت ذراعاها عنه، ورأى بريق عينيها يوشك أن ينطفئ، وصوتها يخف رويدًا رويدًا حتى يصير إلى حشرجة هامسة، وتضرع إليها أن تنظر إليه، وأن تكلمه، قالت في حشرجة الاحتضار: «كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كبير يفنى، وأنا ميتة وذكري باق، فقد تركت خيرًا، وولدت طهرًا...»، وذاب صوتها في سكون العدم، فما تكلمت بعدها أبدًا.

وخيم على الكون صمت رهيب، مزقته بعد حين صرخة صبي مفجوع، انحنى على جثة أمه في العراء يناديها فلا تلبي النداء، والتفت إلى أم أيمن يسألها عن سر هذه الحياة التي انطفأت، والجسد الذي همد وبرد، والصوت الذي فنى وذاب، فضمته المسكينة إلى صدرها، ولم تملك إلا أن تقول دون أن تعي: إنه الموت يابني، فجلس بجوار أمه يحدق فيها صامتًا، واجمًا عاجز الحيلة، على حين أخذت بركة تلف الجسد الراقد، وتعصب الوجه الذابل، وتغمض العينين المنطفئتين.

وتبعها مطرقًا مستسلمًا، وهي تحمل الجثة إلى قرية الأبواء حتى إذا أوشك الثرى أن يغيبها، اندفع وحيدها اليتيم نحوها متشبث بها يريد أن يستبقيها أو يبقى معها.

عودة اليتيم:

وعلا نحيب القوم من إشفاق وتأثر، خلوًّا بينه وبين أمه ساعة أو بعض

ساعة، ثم نحَّوه عنها في رفق، وأضجعوها في لحدها، وهالوا عليها الرمال. وجمت أرباض مكة وهي تشهد الصبي الحزين الذي غادرها مع أمه منذ شهر وبعض شهر، بادي الغبطة والتهلل والإشراق، يعود إليها اليوم وحيدًا مضاعف اليتم، قد ذاق الحزن المر، ورأى بعينيه مشهد الموت في أعز من له.

لما وصلت أم أيمن بالطفل إلى مكة وأبلغت أهله بالخبر الحزين، حزن بنو هاشم من أجل هذا الطفل، الذي ظنوا أن الأقدار قست عليه فحرمته من حنان الأب وعطف الأم، وهو في هذه السن الصغيرة، وكان طبيعيًا أن يكون عبد المطلب أكثرهم حزنًا تجاه حفيده[١] اليتيم، الذي أصيب بمصاب جديد نكأ الجروح القديمة، فرق عليه رقة لم يرقها لأحد من أولاده، فكان لا يدعه لوحدته المفروضة بل يؤثره على أولاده، وضمه إلى كفالته[٢]، وكان يقربه منه ويدنيه، يدخل عليه إذا خلا وإذا نام، ولا يأكل طعامًا إلا ويقول: عليّ بابني فيؤتى به إليه، وبذلك عوضه بحنانه عن حنان الأبوين.

ووصى به حاضنته بعد وفاة أمه –أم أيمن–، وقال لها: يا بركة لا تغفلي عن ابني، وكان هو ﷺ لما كبر يعرف لها ذلك، ويقول: «هي أمي بعد أمي».

قال ابن هشام: كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، وكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من

(١) الرحيق المختوم.
(٢) تاريخ الإسلام، د. عبد الشافي.

بنيه إجلالاً له، فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني هذا فوالله إن له لشأنًا، ثم يجلسه معه على فراشه، ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع.

وفاة عبد المطلب:

لما بلغ رسول الله ﷺ ثماني سنين مات عبد المطلب، وولي زمزم والسقاية عليها بعده العباس حتى قام الإسلام وهي بيده فأقرها رسول الله ﷺ له، وكذلك ورث أبو طالب بن عبد المطلب شرف أبيه ومكانته بين قومه في مكة، مع أنه لم يكن أكثر إخوته مالاً، ولكن المال وحده لا يجلب الشرف لصاحبه، بل رجاحة العقل، وكرم الطبع، والمروءة، وعلو الهمة، والبعد عن الدنايا، والترفع عن صغائر الأمور.

وكان عبد المطلب يوصي أبا طالب برسول الله ﷺ ؛ وذلك لأن عبد الله أبا رسول الله ﷺ وأبا طالب أخوان لأب وأم، فكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله ﷺ بعد جده.

إلى عمه الشفيق:

نهض أبو طالب بحق ابن أخيه على أكمل وجه، وضمه إلى ولده، وقدمه عليهم، واختصه بفضل واحترام وتقدير. وكان رجل من لهب -قبيلة من أزد شنوءه- وكان عائفًا، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم، ويعتاف لهم فيهم[1]. فأتى أبو طالب بالنبي ﷺ وهو

(١) محمد نبي البر.

غلام مع من يأتيه، فنظر إلى رسول الله ﷺ ثم شغله عنه شيء، فلما فرغ قال: الغلام، عليّ به، فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه، فجعل يقول: ويلكم! ردوا عليّ الغلام الذي رأيت آنفًا، فوالله ليكونن له شأن، فانطلق به أبو طالب.

يستسقي الغمام بوجهه:

طلبت قريش من أبي طالب أن يستسقي لهم (من شدة الجدب والقحط)، فخرج أبو طالب ومعه رسول الله ﷺ وهو غلام، فألصق ظهره بالكعبة، فأقبل السحاب وانفجر الوادي، وهنا قال أبو طالب:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

بحيرا الراهب:

خرج أبو طالب في ركب تاجرًا إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير، تعلق به رسول الله ﷺ ، فرق له وقال: والله لأخرجن به معي ولا يفارقني، ولا أفارقه أبدًا فخرج به معه، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام، وبها راهبًا يقال له بحيرا في صومعة له، وكان قد آل إليه علم النصرانية.

فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا، وكانوا كثيرًا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم، حتى كان ذلك العام فلما نزلوا به قريبًا من صومعته رأى رسول الله ﷺ في الركب حين أقبلوا، وغمامة تظله من بين القوم، ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبًا منه فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، وتدلت أغصان تلك الشجرة على رسول الله ﷺ حتى

استظل تحتها، وكان عمره اثنتي عشرة سنة، وقيل: تسعًا.

فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته ثم أرسل إليهم فقال: إني قد صنعت لكم طعامًا يا معشر قريش، فأنا أحب أن تحضروا كلكم، صغيركم وكبيركم، عبدكم وحركم، فقال له رجل منهم: والله يا بحيرا إن لك لشأنًا اليوم، فما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنا نمر بك كثيرًا، فما شأنك اليوم؟ قال له بحيرا: صدقت، قد كان ما تقول ولكنكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعامًا فتأكلوا منه كلكم.

فاجتمعوا إليه، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه، في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرف، فقال: يا معشر قريش، لا يتخلفن أحدًا منكم عن طعامي، قالوا له: يا بحيرا، ما تخلف عنك أحد ينبغي أن يأتيك إلا غلام، وهو أحدث القوم سنًا، فقال: لا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم.

فقال رجل من قريش مع القوم: واللات والعزى، إن كان للوم بنا أن يتخلف ابن عبد المطلب عن طعام من بيننا، ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظًا شديدًا، وينظر إلى أشياء من جسده، وقد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرا فقال له: يا غلام أسألك بحق اللات والعزى، ألا أخبرتني عما أسألك عنه، وإنما قال له بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما، فقال رسول الله ﷺ : «لا تسألني باللات والعزى شيئًا فوالله ما أبغضت شيئًا قط بغضهما».

فقال له بحيرا: فبالله ألا أخبرتني عما أسألك عنه، فقال: «سلني عما بدالك»، فجعل يسأله عن رحلته وهيئته، وعن أشياء من حاله في يومه وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلى كتفه فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده (قطعة لحم بارزة عليها شعر عند كتفه الأيسر كبيضة الحمام).

فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، قال له بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًّا، قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حُبلى به، قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرًا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده، فخرج به عمه أبو طالب سريعًا حتى أقدمه مكة، حين فرغ من تجارته بالشام.

في مختصر سيرة الرسول للشيخ عبد الله النجدي: لما عرف بحيرا رسول الله ﷺ فقال وهو آخذ بيده: هذا سيد العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال أبو طالب: وما علمك بذلك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجدًا ولا تسجد إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة، وإنا لنجده في كتبنا، وسأل أبو طالب أن يرده، ولا يقدم به إلى الشام، خوفًا عليه من اليهود.

حرب الفجار[1]:

ولخمس عشرة من عمره ﷺ كانت حرب الفجار بين قريش ومن معهم من كنانة وبين قيس عيلان، وقد حضرها رسول الله ﷺ وكان ينبل على عمومته، أي يجهز لهم النبل للرمي، وظفرت فيها قريش (انتصرت)، وسميت بحرب الفجار لانتهاك حرمات الحرم والأشهر الحرم فيها.

حلف الفضول:

كان عمره ﷺ ٢٠ سنة وهو من الأعمال الحسنة التي كان يصنعها عقلاء الرجال في الجاهلية، وكان القصد منه منع الظلم، والوقوف إلى جانب الضعفاء من أهل مكة أو من غيرهم، وكان الداعي إليه الزبير بن عبد المطلب بن هاشم، عم النبي ﷺ.

وكان سبب ذلك أن رجلاً يمنيًا قدم مكة تاجرًا فاشترى ما معه من بضاعة (العاص بن وائل السهمي) -والد عمرو بن العاص- وكان ذا قدر وشرف في مكة، فماطل التاجر ولم يعطه حقه، فاستعدى عليه الأحلاف، فأبوا أن يعينوه على العاص -لمكانته فيهم- وزجروا التاجر، ورأى أن حقه قد يضيع، فصعد على جبل أبي قبيس عند طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة، ثم صاح بأعلى صوته منشدًا كلمات قوية يحكي فيها مظلمة في البلد الحرام بالشعر.

فلما سمع ذلك (الزبير بن عبد المطلب) ثارت نخوته ورجولته

(١) الرحيق المختوم.

ومروءته، وقال: ما لهذا مترك، ودعا إلى نصرته، فاجتمعت بنو هاشم وبنو زهرة وبنو تيم في دار بن جدعان (لشرفه وسنه)، فصنع لهم طعامًا وتعاقدوا وأنصفوا الرجل من العاص بن وائل، وقد شهد هذا الحلف رسول الله ﷺ وكان شابًا في العشرين من عمره، وأثنا عليه بعد بعثته، وقال عنه: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو ادعى به في الإسلام لأجبت».

وشبَّ رسول الله ﷺ [١] والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية، لما يريد من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلاً، وأفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقًا، وأكرمهم حسبًا، وأحسنهم جوارًا، وأعظمهم حلمًا، وأصدقهم حديثًا، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم عن الفُحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهًا وتكرمًا، حتى كان اسمه في قومه (الأمين)؛ لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة.

فإن القدر حفظه مرتين: يترك غنمه مع الغلام الذي يرعى معه الغنم بأعلى مكة، ويدخل مكة ليسمر بها، كما يسمر الشباب فينام، تدخلت العناية الربانية للحيلولة بينه وبين التقاليد غير المحمودة.

حياة الكدح[٢]:

رعى الغنم في بني سعد وفي مكة لأهلها على قراريط، وفي الخامسة والعشرين من عمره خرج تاجرًا إلى الشام في مال خديجة بنت خويلد،

---

(١) محمد نبي البر.
(٢) الرحيق المختوم.

فقد كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها بشيء تجعله لهم، وكان السادات والرؤساء يحرصون على زواجها، فتأبى عليهم ذلك، فقد طافت ذات ليلة بالكعبة مرارًا، ثم في هذه الليلة رأت في نومها شمسًا عظيمة تهبط من سماء مكة لتستقر في دارها، وتملأ جوانب البيت نورًا وبهاءً، ويفيض ذلك النور من دارها ليغمر ما حولها بضياء يبهر النفوس قبل أن يبهر الأبصار.

فأولها ورقة بن نوفل[١] بدخول نور النبوة دارها، وليفيض من دارها نور خاتم النبيين، وعاشت على أمل أن تتحقق تلك الرؤية.

خديجة:

فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرًا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام، فنزل[٢] رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريبًا من صومعة راهب من الرهبان.

واطلع الراهب إلى ميسرة وقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي.

---

(١) ابن عم خديجة، وكان نصرانيًا قد تتبع الكتب.
(٢) محمد نبي البر.

ثـم بـاع رسـول الله ﷺ سـلعته التـي خـرج بهـا، واشـترى مـا أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فأضعف، وحدثها ميسرة: عن قول الراهب، وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه. وحدثت ورقة بن نوفل بما قال ميسرة، فقال ورقة: لئن كان هذا حقًا يا خديجة، إن محمدًا لنبي هذه الأمة، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر، هذا زمانه.

وكانـت خديجـة سـيدة ناضـجة فـي الأربعـين مـن عمرهـا، وقـد عرفـت الناس وتزوجت من قبل مرتين، باثنين من سادات العرب وأشرافهم، عتيق بن عائد بن عبد الله المخزومي، وأبي هاله هند بن زرارة التميمي.

وقد ترك لها زوجها عتيق ابنة أدركت سن الزواج، وخلف لها زوجها أبو هالة هند بن زرارة التميمي ولدها هندًا غلامًا لم يشب عن الطوق.

زواج الرسول ﷺ من خديجة:

كانت خديجة قد رفضت الزواج من كل ما تقدم لها من عِلية قريش، وتفرغـت لتجارتهـا، ولكنهـا وجـدت فـي رسـول الله ﷺ الصـفات التـي لـم تجدها في غيره ممن تقدموا لها، فلما رغبت في الزواج منه ﷺ دست إليه إحدى صديقاتها وهي (نفيسة بنت مُنية)[1]، فذهبت إليه نفيسة وقالت له: يـا محمـد مـا يمنعـك مـن الـزواج؟ وكـان سـنه يومئـذ خمسًـا وعشـرين سـنة، فقـال: «مـا بيـدي مـا أتـزوج بـه»، فقالـت: فـإن كفيـت ذلـك، ودعيـت إلـى

(١) تاريخ الإسلام.

المال والجمال والشرف والكفاية ألا تجيب؟ قال: «فمن هي؟» قالت: خديجة، قال: «وكيف لي بذلك؟» قالت: علي وأنا أفعل.

فذهبت فأخبرتها، وأرسلت إليه ﷺ خديجة تدعوه، فكلم أعمامه، فذهبوا إلى عم خديجة وخطبوها إليه، وهناك في بيتها ألفوا قومها ينتظرون، وكل شيء مهيأً لزواج سريع، ولما تم الإيجاب والقبول، أمرت السيدة خديجة بشاة فذبحت، وأعدت طعامًا فأكلوا.

ثم خطب أبو طالب بن عبد المطلب، خطبة قصيرة بهذه المناسبة:

أما بعد: فإن محمدًا ممن لا يوزن به رجل إلا رجح، وإن كان في المال قل، فالمال ظل زائل وعاريه مسترجعه، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، فأثنى عليه عمها وأنكحها منه على صداق قدره عشرون بكره.

وتم الزواج المبارك، وانتقل النبي ﷺ بعد الزواج إلى بيت خديجة، وكانت أول امرأة يتزوجها ولم يتزوج غيرها عليها حتى ماتت رضي الله عنها، وولدت خديجة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ ولده كلهم (إلا إبراهيم): القاسم، وبه كان يُكنى النبي ﷺ ثم زينب ورقية، وأم كلثوم وفاطمة، وعبد الله، وكان عبد الله يلقب بالطيب والطاهر.

ومات بنوه كلهم في صغرهم، أما البنات فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن، إلا أنهن أدركتهن الوفاة في حياته ﷺ ، سوى فاطمة رضي الله عنها فقد تأخرت بعده ستة أشهر، ثم لحقت به ﷺ ، وأما إبراهيم فأمه مارية القبطية، سرية النبي ﷺ التي أهداها إليه المقوقس.

بناء الكعبة وقضية التحكيم[١]:

ولما بلغ رسول الله ﷺ خمسًا وثلاثين سنة وكانت الكعبة قد صدعت جدرانها، وقد تعرضت لسيل عرم فكاد أن يؤدي إلى انهيار الكعبة، فاضطرت قريش إلى تجديد بنائها وتسقيفها، حرصًا على مكانتها، واتفقوا على ألا يدخلوا في بنائها إلا طيبًا، فلا يدخلوا فيها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس.

وكانوا يهابون هدمها، فابتدأ بها الوليد بن المغيرة المخزومي، وتبعه الناس لما رأوا أنه لم يصبه شيء، ولم يزالوا في الهدم حتى وصلوا إلى قواعد إبراهيم، ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن (الحجر الأسود)، فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى أعدوا للقتال.

فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دمًا، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فسموا لعقة الدم فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسًا، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا فعرض عليهم أبو أمية بن المغيرة المخزومي -وكان أسن قريش كلها- أن يحكموا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد فارتضوه، وشاء الله أن يكون ذلك

(١) الرحيق المختوم.

رسول الله ﷺ ، فلما رأوه هتفوا (هذا الأمين رضيناه)، هذا محمد، فلما انتهى إليهم فأخبروه الخبر، قال ﷺ : «هلم إليَّ ثوبًا، فأتى به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعًا ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده، ثم بنى عليه».

وقصرت بقريش النفقة الطيبة فأخرجوا من الجهة الشمالية نحو ستة أذرع وهي التي تسمى بالحجر والحطيم، وبعد انتهاء بنائها صارت ذات شكل مربع تقريبًا، ارتفاعه ١٥ مترًا، طول ضلعه الذي فيه الحجر الأسود، والمقابل له ١٠ أمتار، والحجر على ارتفاع ١.٥ متر من أرضية المطاف، والضلع الذي فيه الباب والمقابل له ١٢ مترًا، وبابها على ارتفاع مترين من الأرض.

وكانت الكعبة تُكسى القباطى (ثياب بيض كانت تُصنع بمصر)، ثم كُسيت البرود، وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف، وكانت الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى، والكهان من العرب، قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه، لما تقارب من زمانه.

أما الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى، فعما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه.

وأما الكهان من العرب، فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع، فلما تقارب أمر الرسول ﷺ وحضر مبعثه، حجبت الشياطين عن السمع، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها، فرموا بالنجوم، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله في العباد.

ويُحكى أن أول من فزع من العرب للرمي بالنجوم حي من ثقيف، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم، وكان أدهى العرب يُقال له: عمرو بن أمية، فقالوا له: يا عمرو ألم تر إلى ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم؟ قال: بلى، فانظروا فإن كانت النجوم التي يُهتدى بها في البر والبحر، وتعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء هي التي يرمى بها، فهو والله طي الدنيا، وهلاك هذا الخلق، وإن كانت نجومًا غيرها، فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق.

ما دعا هؤلاء إلى الإسلام(١):

ويحدث رجال من المسلمين إن مما دعانا إلى الإسلام، لما كنا نسمع من رجال يهود، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب، عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه تقارب زمان نبي يُبعث الآن، فكنا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم.

فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى، فبادرناهم إليه، فآمنا به وكفروا به.

وكان مسلمة من أصحاب بدر يقول: كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل، فخرج علينا يومًا من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل، فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار، فقالوا له: ويحك

---

(١) محمد نبي البر.

يا فلان، أو ترى هذا كائنًا؟ قال: نعم، فقالوا له: ويحك يا فلان، فما آية ذلك؟

قال: نبي مبعوث من نحو هذه البلاد ، وأشار بيده إلى مكة واليمن، فقالوا: ومتى نراه؟ فنظر إليَّ وأن من أحدثهم سنًا، فقال: إنه يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه، قال مسلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدًا رسول الله ﷺ .

سلمان الفارسي (الباحث عن الحقيقة):

ويقول سلمان الفارسي: كنت رجلاً فارسيًا من أهل أصبهان، وكان أبي دهقان قريته –شيخ قريته–، وكنت أحب خلق الله إليه، لم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تُحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية حتى كنت خادم النار الذي يوقدها.

قال: وكان لأبي ضيعة عظيمة، فشغل في بنيان له يومًا، فقال لي: يا بني، إني شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب إليها. وأمرني ببعض ما يريد، ثم قال لي: ولا تحتبس عني، فإنك إن احتبست عني كنت أهم إليَّ من ضيعتي، وشغلتني عن كل شيء من أمري.

قال: فخرجت أريد الضيعة التي بعثني إليها، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما برحتهم حتى

غربت الشمس، وتركت ضيعة أبي فلم آتها، ثم قلت لهم: أين أصْل هذا الدين؟ قالوا: بالشام.

فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي، وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال: أي بني أين كنت؟ أولم أكن عهدت إليك ما عهدت؟

قال: قلت له: يا أبت مررت بأناس يصلون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس، قال: أي بني، ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه، قال: قلت له: إنه خير من ديننا، فخافني، فجعل في رجلي قيدًا ثم حبسني في بيته.

قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم، فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروه، فقال لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم، فآذنوني بهم، فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروه بهم.

قال: فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين علمًا؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة، فجئته فقلت له: إني قد رغبت في هذا الدين فأحببت أن أكون معك، وأخدمك في كنيستك، فأتعلم منك، وأصلي معك، قال: أدخل.

فدخلت معه، وكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا له شيئًا منها اكتنزه لنفسه، ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب، فأبغضته بغضًا شديدًا لما رأيته يصنع.

ثم مات فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه، ولم يعط المساكين منها شيئًا، فقالوا لي: وما علمك بذلك؟ قلت لهم: أنا أدلكم على كنزه، قالوا: فدلنا عليه، فأريتهم موضعه، فلما رأوه قالوا: والله لا ندفنه أبدًا، فصلبوه ورجموه بالحجارة، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه.

قال سلمان: فما رأيت رجلاً كان أفضل منه، وأزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلاً ونهارًا منه، فأحببته حبًا لم أحبه شيئًا قبله، ثم حضرته الوفاة فقلت له: يا فلان إني قد كنت معك، وأحبك حبًا لم أحبه شيئًا قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى، فإلى من توصي بي؟ وبمَ تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلم اليوم أحدًا على ما كنت عليه، فقد هلك الناس، وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً بالموصل، وهو فلان وهو على ما كنت عليه، فألحق به.

قال: فلما مات وغيب، لحقت بصاحب الموصل فقلت له: يا فلان، إن فلانًا أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره، فقال لي: أقم عندي، فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان، إن فلانًا أوصى بي إليك وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟

قال: يا بني، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً

(بنصيبين) وهو فلان فألحق به، فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين (مدينة بين دجلة والفرات) فأخبرته خبري، وما أمرني به صاحبه، فقال: أقم عندي، فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر قلت له: يا فلان إن فلانًا كان قد أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وبما تأمرني؟

قال: يابني، والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلاً (بعموريه من أرض الروم)، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته فإنه على أمرنا، فلما مات وغيب لحقت بصاحب عموريه فأخبرته خبري، فقال: أقم عندي.

فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم، واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة، ثم نزل به من أمر الله تعالى، فلما حضر قلت له: يا فلان، إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وبمَ تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك أن تأتيه.

ولكنه قد أظل زمان نبي:

وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب مهاجره إلى أرض بين حرتين، بينهما نخل به علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل، ثم مات وغيب، ومكثت بعموريه ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي

نفر من كلب تجار، فقلت لهم: احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي وغنيمتي هذه، قالوا: نعم، فأعطيتهموها وحملوني معهم، حتى إذا بلغوا (وادي القرى) ظلموني فباعوني من رجل يهودي عبدًا، فكنت عنده ورأيت النخل، فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي.

فبينما أنا عنده، إذ قدم عليه ابن عم له من (بني قريظة) من المدينة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي فأقمت بها.

وبعث رسول الله ﷺ : فأقام بمكة ما أقام، لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأسي عذق لسيدي أعمل له فيه بعض العمل، وسيدي جالس تحتي، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه، فقال: يا فلان، قاتل الله (بني قيله)، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي.

فلما سمعتها أخذتني رعدة، حتى ظننت أني ساقط على سيدي، فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه: ماذا تقول؟ فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة ثم قال: مالك ولهذا؟ أقبل على عملك، قلت: لا شيء إنما أردت أن أستنبئه عما قال.

وكان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته، ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذو حاجة، وهذا شيء قد كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم، وقربته إليه، فقال رسول الله ﷺ

لأصحابه: «كلوا » وأمسك يده فلم يأكل، فقلت في نفسي: هذه واحدة ثم انصرفت عنه فجمعت شيئًا، ثم جئته به فقلت له: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها، فأكل رسول الله ﷺ منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه، فقلت في نفسي: هاتان ثنتان.

ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد (مقبرة أهل المدينة)، وقد تبع جنازة رجل من أصحابه، وعلى شملتان لي، وهو جالس في أصحابه، سلمت عليه، ثم استدرت أنظر إلى ظهره، هل أرى (الخاتم) الذي وصف لي صاحبي، فلما رآني رسول الله استدبرته، عرف أني أستثبت في شيء وصف لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكببت عليه أقبله وأبكي.

فقال لي رسول الله ﷺ : «تحول»، فتحولت فجلست بين يديه، فقصصت عليه حديثي، فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه.

ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد، قال سلمان: ثم قال لي رسول الله ﷺ : «كاتب يا سلمان»، فكاتبت صاحبي على ثلثمائة نخلة أطيبها له، وأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: أعينوا أخاكم، فأعانوني بالنخل حتى اجتمعت لي ثلثمائة، فأديت النخل وبقى عليّ المال.

فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من بعض المعادن، فقال: ما فعل الفارسي المكاتب؟ فدعيت له، فقال: خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان، قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما عليّ؟ فقال: خذها فإن الله

سيؤدي بها عنك، فأخذتها فوزنت لهم منها أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم منها، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق حرًا، ثم لم يفتني معه مشهد.

وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال في المعنى: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء»، وكان يقول ﷺ أيضًا في المعنى: «سلمان منا أهل البيت».

رجال كانوا يتمتعون بفطرة سليمة[١]

اجتمعت قريش يومًا في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له، وكان ذلك عيدًا لهم في كل سنة يومًا، فخلص منهم أربعة نفر يتحدثون سرًا، فقال بعضهم لبعض: والله ما قومنا على شيء، أخطأوا دين إبراهيم، ما حجر نطيف به لا يضر ولا ينفع.

فهم لا يرتاحون لعبادة الأصنام، وفي نفس الوقت لا يعرفون الطريق السليم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، كما عبر عن ذلك زيد بن عمرو بن نفيل عندما كان يناجي ربه قائلاً: «يارب لو أني أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ولكن لا أعلم»، وبعض هؤلاء حاول الخروج من حيرته فاعتنق المسيحية وهو:

١- ورقة بن نوفل: فاستحكم في النصرانية، واتبع الكتب حتى علم علمًا من أهل الكتاب.

٢- وأما عبيد الله بن جحش: فظل حيران حتى أسلم، ثم هاجر للحبشة مع أم حبيبة بنت أبي سفيان (زوجته) مسلمة، فلما قدمها تنصر وفارق الإسلام حتى هلك هنالك نصرانيًا.

٣- وأما عثمان بن الحويرث: فقدم على قيصر ملك الروم، فتنصر، وحسنت منزلته عنده.

٤- وأما زيد بن عمرو بن نفيل: فوقف فلم يدخل في يهودية ولا

---

(١) محمد نبي البر، تاريخ الإسلام.

نصرانية، وفارق دين قومه، وقال: أعبد رب إبراهيم.

فلما بلغ محمد رسول الله ﷺ أربعين سنة[١]، بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، وبشيرًا للناس كافة، وكان أول ما بدء به رسول الله ﷺ من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به.

١- الرؤيا الصادقة:

لا يرى رسول الله ﷺ رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح.

٢- الخلوة:

وحبب الله تعالى إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده.

٣- وكان إذا خرج لحاجته: وأفضى إلى شعاب مكة وبطون أوديتها، لا يمر ﷺ بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، فيلتفت حوله، وعن يمينه وشماله وخلفه، فلا يرى إلا الشجر والحجارة، ومكث رسول الله ﷺ كذلك يرى ويسمع، ما شاء الله أن يمكث.

جبريل ينزل بالوحي[٢]: ثم جاءه جبريل عليه السلام وهو بغار حراء في جبل النور، وكان رسول الله ﷺ يعتكف في حراء في شهر رمضان من كل سنة، يطعم من جاءه من المساكين، ويتفكر فيما حوله من مشاهد الكون، وفيما وراءها من قدرة مبدعة، وهو غير مطمئن لما عليه قومه من عقائد الشرك المهلهلة، ولكن ليس بين يديه طريق واضح، ولا منهج محدد،

---

(١) محمد نبي البر.

(٢) الرحيق المختوم.

يطمئن إليه ويرضاه.

فإذا قضى اعتكافه من شهره ذلك، كان أول ما يبدأ به الكعبة قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعًا ثم يرجع إلى بيته، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى، ويقول له اقرأ[(١)]، فيجيبه: «ما أنا بقارئ»، فيضمه الملك ضمًا قويًا إلى صدره ثم يرسله ويقول له: إقرأ، فيقول له النبي ﷺ : «ما أنا بقارئ»، فيضمه الملك ضمًا قويًا إلى صدره ويقول له اقرأ، ويقول له: «ما أنا بقارئ»، فيضمه الملك ضمًا قويًا إلى صدره، ثم يرسله ثم يقول له: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾[(٢)].

يقول الرسول ﷺ [(٣)] ثم انتهى فانصرف عني، وهببت من نومي، فكأنما كتب في قلبي كتابًا، فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل، سمعت صوتًا من السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل، فوقفت ورفعت رأسي إلى السماء أنظر، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل.

فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهي عنه

---

(١) تاريخ الإسلام.
(٢) سورة العلق: الآيات (١-٥).
(٣) محمد نبي البر.

في آفاق السماء، فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك، فمازلت واقفًا، ثم انصرف عني.

ورجع رسول الله ﷺ إلى خديجة وفؤاده يرجف[١]، فقال: زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، وأخبرها الخبر وقال: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وقالت[٢]: أبشر بابن عم واثبت، فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة.

ثم انطلقت (خديجة) إلى ابن عمها (ورقة بن نوفل) فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ ، فقال ورقة: والذي نفس ورقة بيده، لئن كنت قد صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة، فقولي له: فليثبت .

فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة، فلما قضى رسول الله ﷺ اعتكافه وانصرف، صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه (ورقة) وهو يطوف بالكعبة فقال: يابن أخي، أخبرني بما رأيت وسمعت، فأخبره رسول الله ﷺ ، فقال له ورقة، والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرًا يعلمه.

---

(١) الرحيق المختوم.
(٢) محمد نبي البر.

وقال ورقة: يا ليتني فيه جزعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ : «أو مخرجي هم؟»، قال: نعم، لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي، ثم أدنى ورقة رأسه منه فقبل يافوخ رسول الله ﷺ ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله.

فترة الوحي(١):

وكان ينتظر أن يتتابع الوحي عليه بمضمون هذه الرسالة التي كلفه الله بها، ولكن الوحي انقطع فجأة كما جاء فجأة، وقد انتابه شيء من القلق والكآبة والحزن.

وكان ذلك –أن انقطاع الوحي أيامًا– ليذهب ما كان رسول الله ﷺ وجده من الروع، ليحصل له التشوق إلى العود، فلما تقلصت ظلال الحيرة، وعرف يقينًا أنه نبيًا لله، صار ارتقابه لمجيء الوحي سببًا في ثباته واحتماله عندما يعود.

جاءه جبريل للمرة الثانية(٢):

ويُقال أنه من أسباب حزنه أثناء فترة الوحي أنه قد خشى أن يكون ربه قد هجره، وأن فترة هذا الهجر قد تطول، ولكن سرعان ما تداركت عناية الله تعالى محمدًا ﷺ ، لتضع حدًا لهذا القلق، ولتطمئنه أن الله لم يهجره ولم يتخل عنه، فنزلت عليه سورة الضحى بتمامها، مستأنفة نزول الوحي وتتابع الرسالة.

---

(١) تاريخ الإسلام.
(٢) الرحيق المختوم.

وفي هذا يقول المفسرون[١]:

ثم فتر الوحي فحزن، فبينما هو يمشي سمع صوتًا من السماء فرفع رأسه، فإذا الملك الذي جاءه بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فعراه من رؤيته الرعب والفزع، فجاء إلى أهله فقال: «دثروني، دثروني»، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾[٢]، فهو ﷺ أرسل بالمدثر لينذر الناس عن الشرك بالله[٣]، فقد أمر بالقيام بالدعوة[٤]، وتلقى ﷺ أوامر عديدة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾[٥].

ثم إن مطلع الآيات تضمنت النداء العلوي بانتداب النبي ﷺ لهذا الأمر الجليل، وانتزعه من النوم والتدثر والدفء، إلى الجهاد والكفاح والمشقة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ كأنه قيل: إن الذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحًا، أما أنت الذي تتحمل هذا العبء الكبير فما لك والنوم؟ ومالك والراحة؟ ومالك والفراش الدافئ، والعيش الهادئ، والمتاع المريح؟

---

(١) صفوة التفاسير للصابوني.
(٢) سورة المدثر: الآيتان (١، ٢).
(٣) مختصر سيرة الرسول، لمحمد بن عبد الوهاب.
(٤) الرحيق المختوم.
(٥) سورة المدثر: الآيات (١-٧).

قم للأمر العظيم الذي ينتظرك، والعبء الثقيل المهيأ لك، قم للجهد والنصب والكد والتعب، قم فقد مضى وقت النوم والراحة، وما عاد منذ اليوم إلا السهر المتواصل، والجهاد الطويل الشاق، قم فتهيأ لهذا الأمر واستعد.

إنها لكلمة عظيمة رهيبة، تنزعه ﷺ من دفء الفراش في البيت الهادئ، والحضن الدافئ لتدفع به في الخضم بين الزعازع والأنواء، وبين الشد والجذب في ضمائر الناس وفي واقع الحياة سواء.

وقام رسول الله ﷺ فظل قائمًا بعدها، أكثر من عشرين سنة، لم يسترح، ولم يسكن، ولم يعيش لنفسه ولا لأهله، قام وظل قائمًا على دعوة الله، يحمل على عاتقه العبء الثقيل الباهظ ولا ينوء به، عبء الأمانة الكبرى في هذه الأرض، عبء البشرية كلها، عبء العقيدة كلها، عبء الكفاح والجهاد في ميادين شتى، عاش في المعركة الدائبة المستمرة أكثر من عشرين سنة، لا يهليه شأن عن شأن في خلال هذا الأمد، منذ أن سمع النداء العلوي الجليل، وتلقى منه التكليف الرهيب.

وفي الآية إشارة[١] إلى ما سيلقاه من أذى المعاندين من المخالفة والاستهزاء والسخرية، إلى الجد والاجتهاد في قتله وقتل أصحابه، وإبادة كل من التف حوله من المؤمنين، يأمر الله تعالى أن يصبر على كل ذلك بقوة وجلادة، لا لينال حظًا من حظوظ نفسه، بل لمجرد مرضاة ربه.

---

(١) الرحيق المختوم.

أقسام الوحي[١]: الذي هو مصدر الرسالة ومدد الدعوة.

مراتب الوحي:

١- الرؤيا الصادقة، وكانت مبدأ وحيه ﷺ ، رؤيا الأنبياء وحي.

٢- ما كان الملك يوحيه في رَوعه وقلبه من غير أن يراه.

٣- كان يتمثل له الملك رجلاً فيخاطبه، وكان يراه الصحابة أحيانًا.

٤- كان يأتيه مثل صلصلة الجرس، وكان أشده عليه فيلتبس به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرقًا في اليوم الشديد البرد وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها، ولقد جاء الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها.

صلصلة الجرس:

سمعها عمر كأزيز النحل، وكدوي النحل، وكارتطام الحديد ببعضه.

٥- أنه كان يرى الملك على صورته التي خلق عليها، وهذا وقع له مرتين: مرة في الأرض، ومرة في السماء عند سدرة المنتهى، كما ذكر الله تعالى ذلك في سورة النجم.

٦- ما أوحاه الله إليه، وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها، وهو كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك، كما كلم الله موسى بن عمران من وراء حجاب.

أدوار الدعوة ومراحلها[٢]:

---

(١) الرحيق المختوم.
(٢) الرحيق المختوم.

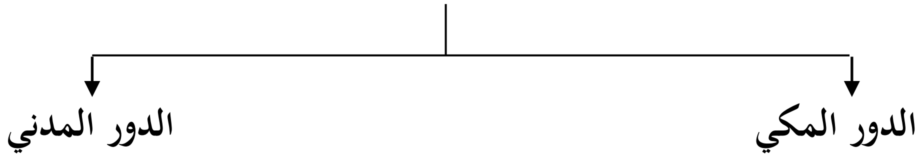
١- الدور المكي: ثلاث عشرة سنة تقريبًا:

أ- مرحلة الدعوة السرية، ثلاث سنين.

ب- مرحلة إعلان الدعوة في أهل مكة من بداية السنة الرابعة من النبوة إلى أواخر السنة العاشرة.

جـ- مرحلة الدعوة خارج مكة، من أواخر السنة العاشرة من النبوة إلى هجرته ﷺ إلى المدينة.

مراحل الدعوة



١- سرية ثلاث سنوات.

٢- علنية داخل مكة إلى أواخر العاشرة.

٣- علنية خارج مكة إلى الهجرة.

١- الدعوة سرًا:

نُبِّيءَ بـ (إقرأ) أُرسِلَ بـ المدثر والضحى. بعد فترة الوحي نزلت (سورة الضحى) وآخر آية فيها ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾(١)، ونزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ﴾(٢)، فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرًا إلى من يطمئن إليه من أهله

(١) سورة الضحى: الآية (١١).
(٢) سورة المدثر: الآيتان (١، ٢).

وأصدقائه، وأخذ يجتمع بأصحابه الأولين في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، يتلو عليهم القرآن الكريم، ويعلمهم تعاليم الإسلام.

أول من أسلموا:

السيدة خديجة، وزيد بن حارثة، وعلي بن أبي طالب (كان صبيًا يعيش في كفالة الرسول ﷺ)، وأبو بكر الصديق.

أبو بكر يدعو للإسلام:

كان رجلاً مألفًا محببًا سهلاً، ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه، لعلمه وتجارته، وحسن مجالسته، فجعل يدعو من يثق به من قومه ممن يجلس إليه، فأسلم بدعائه:

- عثمان بن عفان.
- الزبير بن العوام.
- عبد الرحمن بن عوف.
- سعد بن أبي وقاص.
- طلحة بن عبيد الله.

وأيضًا من أوائل المسلمين بلال بن رباح الحبشي، ثم أمين الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون، وسعيد بن زيد وزوجته وخباب وغيرهم.

وكان النبي ﷺ يجتمع بهم ويرشدهم إلى الدين متخفيًا سرًا، وكان الوحي قد تتابع وحمى نزوله بعد نزول أوائل المدثر، كانت تنزل آيات قصيرة تصف الجنة والنار كأنهما رأى العين.

الصلاة:

الأمر بالتوحيد كان قبل الأمر بالصلاة(١)، وكان من أوائل ما نزل الأمر بالصلاة، وكانت ركعتين بالغداة، وركعتين بالعشى (قبل طلوع الشمس وقبل غروبها)، وروى أن النبي ﷺ أول ما أوحي إليه أتاه جبريل، فعلمه الوضوء، وكانوا يصلون في الشعاب حتى لا يراهم أحد ممن لم يسلم.

الجهر بالدعوة(٢)

أول أمر بإظهار الدعوة: أول ما نزل بهذا الصدد قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾(٣)، وقد ذكرت فيها أولاً قصة موسى عليه السلام من بداية نبوته إلى هجرته مع بني إسرائيل، ونجاتهم من فرعون وقومه، وإغراق فرعون معه، وقد اشتملت هذه القصة على جميع المراحل التي مر بها موسى عليه السلام خلال دعوة فرعون وقومه إلى الله.

أي أن هذا التفصيل إنما جيء به حين أمر الرسول ﷺ بدعوة قومه إلى الله، ليكون أمامه وأمام أصحابه نموذجًا لما سيلقونه من التكذيب والاضطهاد حينما يجهرون بالدعوة، وليكونوا على بصيرة من أمرهم منذ بداية دعوتهم.

ومن ناحية أخرى، تشتمل هذه السورة على ذكر مآل المكذبين للرسل، من قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وأصحاب

---

(١) مختصر سيرة الرسول.
(٢) الرحيق المختوم.
(٣) سورة الشعراء: الآية (٢١٤).

الأيكة، علاوة على ما ذكر من أمر فرعون وقومه، ليعلم الذين سيقومون بالتكذيب بما يؤول إليه أمرهم، وبما سيلقون من مؤاخذة الله إن استمروا على التكذيب؛ وليعرف المؤمنون أن حسن العاقبة لهم لا للمكذبين.

الدعوة في الأقربين:

وأول ما فعل رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية أنه دعا بني هاشم فحضروا ومعهم نفر من بني المطلب بن عبد مناف، فكانوا خمسة وأربعين رجلاً، فبادره أبو لهب وقال كلامًا شديدًا قاسيًا وفيه: فما رأيت أحدًا جاء على بني أبيه بشر مما جئت به، فسكت رسول الله ﷺ ولم يتكلم في هذا المجلس.

ثم دعاهم ثانية وقال: «الحمد لله أحمده، وأستعينه، وأومن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثم قال: إن الرائد (شخص أمام القافلة ينذرها أي أخطار تقابلها فيه مواصفات خاصة، عنده سرعة بديهة وأمانة)، لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو، إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وأنها الجنة أبدًا، أو النار أبدًا».

فقال أبو طالب:

ما أحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعين، وإنما أنا أحدهم غير أني أسرعهم لما تحب، فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب.

فقال أبو لهب:

هذه والله السوأة، خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم.

فقال أبو طالب:

والله لنمنعنه ما بقينا.

على جبل الصفا:

وبعد ما تأكد النبي ﷺ من تعهد أبي طالب بحمايته، وهو يبلغ عن ربه، قام يومًا على الصفا فصرخ: يا صباحاه، فاجتمع إليه بطون قريش، فدعاهم إلى التوحيد والإيمان برسالته وباليوم الآخر، فاستجاب له قليل، وأما الأكثر فلم يتبعوا ولم ينكروا حتى بدأ في عيب آلهتهم، فعادوه.

وقد ورد في البخاري طرفًا من هذه القصة عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1]، صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو؟ فجاء أبو

(١) سورة الشعراء: الآية (٢١٤).

لهب وقريش.

فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟»، قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبًا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾[١].

الصدع بالحق: وردود فعل المشركين:

ثم نزل ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[٢]، فقام رسول الله ﷺ يذكر حقائق الأصنام، وما لها من قيمة في الحقيقة، ويبين بالبينات أن من عبدها وجعلها وسيلة بينه وبين الله فهو في ضلال مبين.

فغضبت قريش حين سمعت صوتًا يجهر بتضليل المشركين وعبادة الأصنام، وقامت قريش تستعد لحسم هذه الثورة التي اندلعت بغتة، ويخشى أن تأتي على تقاليدها وموروثاتها، لكن ماذا سيفعلون أمام رجل صادق أمين أعلى مثل للقيم البشرية ولمكارم الأخلاق، لم يعرفوا له نظير ولا مثيل خلال فترة طويلة من الآباء والأقوام؟ ماذا سيفعلون؟ تحيروا في ذلك، وحق لهم أن يتحيروا.

فأتوا عمه أبو طالب:

مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما

---

(١) سورة المسد: الآية (١).
(٢) سورة الحجر: الآية (٩٤).

أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقًا، وردهم ردًا جميلاً فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه، يظهر دين الله، ويدعو إليه.

ثم اشتد الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتعادوا، وأكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها، وحض بعضهم بعضًا عليه.

المجلس الاستشاري لكف الحجاج عن استماع الدعوة[١]:

الجهر بالدعوة لم يمض عليه إلا أشهر معدودة حتى قرب موسم الحج، وعرفت قريش أن وفود العرب ستقدم عليهم، فرأت أنه لا بد من كلمة يقولونها للعرب في شأن محمد ﷺ حتى لا يكون لدعوته أثر في نفوس العرب، فاجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة يتداولون في تلك الكلمة، فقال لهم الوليد: إجمعوا فيه رأيًا واحدًا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا، ويرد قولكم بعضه بعضًا، فقالوا: فأنت فقل، قال: بل أنتم فقولوا أسمع، قالوا: نقول كاهن، قال: لا والله، ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه، قالوا فنقول: مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، قالوا فنقول شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول ساحر، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، قالوا: فماذا نقول؟

قال: والله إن لقوله لحلاوة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عرف

(١) الرحيق المختوم.

أنه باطل، قالوا للوليد: أرنا فيه رأيك الذي لا غضاضة فيه، فقال لهم: أمهلوني حتى أفكر في ذلك، فظل الوليد يفكر ويفكر، حتى أبدى لهم رأيه.

وفي الوليد أنزل الله تعالى ست عشرة آية من سورة المدثر (١١-٢٦) وفي خلالها صور كيفية تفكيره فقال: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ﴾[1].

وبعد أن اتفق المجلس على هذا القرار، (سحر) يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، أخذوا في تنفيذه، فجلسوا بسبل الناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره، والذي تولى كبر ذلك هو أبو لهب، فقد كان رسول الله ﷺ يتبع الناس إذا وافى الموسم، في منازلهم وفي عكاظ ومجنة[2] وذي المجاز، يدعوهم إلى الله، وأبو لهب وراءه يقول: لا تطيعوه فإنه صابئ كذاب، وأدى ذلك إلى أن صدرت العرب من ذلك الموسم، بأمر رسول الله ﷺ ، وانتشر ذكره في بلاد العرب كلها.

لماذا قريش تقاوم الدعوة[3]:

١- المنافسة بين القبائل على الزعامة:

---

(١) سورة المدثر: الآيات (١٨-٢٥).
(٢) أسواق مكة الشهيرة تعقد فيها الندوات والاجتماعات.
(٣) تاريخ الإسلام.

فكانت بين فرعين من بني عبد مناف هما (بنو هاشم، وبنو أمية)، وذلك بعد وفاة عبد المطلب بن هاشم، ولم يكن أحد من أولاده يتمتع بما كان يتمتع به هو من خصائص وصفات الزعامة والسيادة، وهذا أطمع أبناء عمومتهم (بني أمية) وزعيمهم أبا سفيان بن حرب في زعامة مكة.

وهذا يفسر عناد معظم بني أمية وإصرارهم على مقاومة الدعوة حتى آخر لحظة (يوم الفتح)؛ لذلك حسدت القبائل العربية في مكة، بني هاشم على النبوة، وظنتها سيادة دنيوية؛ لأنهم نظروا إليها في ضوء المنافسة القبلية؛ لأنهم لم يفرقوا في البداية بين النبوة وبين الملك الدنيوي، واعتقدوا أن إيمانهم بنبوة محمد الهاشمي هو تسليم لبني هاشم بالزعامة والسيادة، بعد أن أوشكوا أن ينتزعوها منهم.

ولعل خير ما يفسر هذا موقف أبي سفيان عند فتح مكة، عندما أخذه العباس بن عبد المطلب ليأخذ له الأمان من النبي ﷺ ، فلما رأى جيش النبي ﷺ القادم من المدينة وضخامته، نظر إلى العباس وقال: لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيمًا، ولكن العباس قال له: يا أبا سفيان إنها النبوة.

وكذلك زعيم بني مخزوم (من بطون قريش) وهو أبو جهل، عندما قال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذا؟ والله لا نؤمن به ولا نصدقه. هذا مثل على التنافس على الزعامة والحسد المتأصل في النفوس

القبلية.

٢- دعوة المساواة:

المساواة المطلقة بين البشر، والتي أعلنها الإسلام بكل وضوح وحسم منذ اللحظة الأولى؛ ولذلك خشيت قريش على زعامتها الدينية وصدارتها الدنيوية، فالناس جميعًا أمام الله سواسية كأسنان المشط، وهم مخلوقون من أب واحد، وأم واحدة، وأكرمهم عند الله أتقاهم، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

كيف تقبل قريش أن يسوي محمد ﷺ بين سادتها وعبيدهم؟ فقريش أَلِفت السيادة والاستعلاء، وكانت ترى من وجهة نظرها أن الإسلام يهدد مبدأ سيادتها على عبيدها، ويهدد مصالحها الاقتصادية التي تقوم على تسخير العبيد والخدم.

٣- الإيمان بالبعث:

وما فيه من حساب وعقاب، وثواب وعذاب، وجنة ونار، فالفزع من البعث هو طابع الكافرين في كل زمان ومكان.

٤- متابعة الآباء والأجداد:

فقد ألفوا تقليد الآباء والأجداد دون مناقشة -متابعة عمياء- ولا يليق بهم خيانة آبائهم.

وكانت مقاومة قريش لدعوة الرسول ﷺ مقاومة اليائس، فالعالم كله كان مهيأ لقبول رسالة الإسلام؛ لأنه كان غارقًا في الضلال والجهل وفساد العقائد والنظم، وكان في مسيس الحاجة إلى دين جديد يدعو الناس إلى عبادة الله

وحده[١]، ونبذ ما سوى ذلك من العبادات والعقائد الفاسدة، بدليل أنه لم تمض بضع سنوات على وفاة النبي ﷺ حتى كان الإسلام هو الدين السائد في بقاع كثيرة من العالم المعمور، وأظهر الله دينه على الدين كله كما وعد نبيه ومصطفاه.

أساليب قريش في المقاومة[٢]:

لكف الدعوة بعد ظهورها (الجهر بها) لما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يصرفه عن دعوته هذا ولا ذاك، فكروا واختاروا لقمع هذه الدعوة أساليب عدة:

١- السخرية والتحقير والاستهزاء والتضحيك:

وذلك لتخذيل المسلمين وتوهين قواهم المعنوية، فكانوا ينادونه بالمجنون ﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ﴾[٣]، ويتهمونه بالسحر والكذب ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾[٤]، وكانوا ينظرون إليه بنظرات ناقمة: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَـٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٌ﴾[٥]، وكان إذا جلس وحوله المستضعفون من أصحابه، استهزأوا بهم وقالوا هؤلاء جلساؤه ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآ﴾، وقال تعالى: ﴿

---

(١) الرحيق المختوم.
(٢) الرحيق المختوم.
(٣) سورة الحجر: الآية (٦).
(٤) سورة ص: الآية (٤).
(٥) سورة القلم: الآية (٥١).

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

وكانوا كما قص الله علينا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾[1].

٢- تشويه تعاليمه وإثارة الشبهات وبث الدعايات الكاذبة حولها:

بحيث لا يبقى للعامة مجال في تدبر دعوته، فقالوا عن القرآن: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[2]، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾[3]، وكانوا يقولون: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾[4].

٣- إلهاء الناس بأساطير الأولين لينشغلوا عن القرآن[5]:

قال النضر بن الحارث لقريش بأن رسول الله ﷺ قد نشأ بينهم، ويعلمون صدقه وأمانته، ويعلمون أنه ﷺ ليس بساحر ولا كاهن ولا شاعر ولا مجنون، وقال لهم بأنه قد نزل بهم أمر عظيم فلا بد أن ينظروا في شأنهم، ثم ذهب النضر إلى الحيرة، وتعلم بها قصص ملوك الفرس، فكان

---

(١) سورة المطففين: الآيات (٢٩-٣٣).
(٢) سورة الفرقان: الآية (٥).
(٣) سورة الفرقان: الآية (٤).
(٤) سورة النحل: الآية (١٠٣).
(٥) سورة لقمان: الآية (٦).

إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسًا للتذكير بالله والتحذير من نقمته، خلفه النضر، ويقول: والله ما محمد بأحسن حديثًا مني، ثم يحدثهم عن ملوك فارس وغيرهم، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثًا مني.

وكذلك اشترى النضر قينات، فكان لا يسمع برجل مال إلى النبي ﷺ إلا سلط عليه واحدة منها، تطعمه وتسقيه، وتغني له، حتى لا يبقى له ميل إلى الإسلام، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[(١)].

٤- عرضوا عليه ﷺ أن يعبد آلهتهم عامًا ويعبدون ربه عامًا، أو جاءوه وقالوا: هلم يا محمد فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك أنت ونحن في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيرًا مما نعبد، كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيرًا مما تعبد، كنت قد أخذت بحظك منه، فأنزل الله تعالى سورة الكافرون.

الاضطهادات[(٢)]

استمرت قريش شهورًا على تلك الأساليب السابقة الذكر في مقاومة الدعوة، ولكن لما رأوا أنها لا تجدي نفعًا في كف الدعوة الإسلامية، اتخذوا قرارًا حاسمًا ضد رسول الله ﷺ وضد أصحابه، بالإيذاء والتعذيب، فأما عن المستضعفين من المسلمين، فكان الإيذاء والتعذيب بالنسبة لهم

(١) سورة النحل: الآية (١٠٣).
(٢) الرحيق المختوم.

سهلاً جدًا، وأما بالنسبة لرسول الله ﷺ فكان رجلاً شهمًا وقورًا ذا شخصية فذة، تتعاظمه نفوس الأعداء والأصدقاء، وكان مع ذلك في منعة أبي طالب.

١- ضد النبي ﷺ :

- ما فعله أبو لهب منذ اليوم الأول، قبل أن تهم قريش بذلك في مجلس بني هاشم، وما فعله على الصفا، وقد ورد أنه حينما كان على الصفا أخذ حجرًا ليضرب به النبي ﷺ .

- وكان أبو لهب قد زوج ولديه (عتبة وعتيبة)، ببنتي رسول الله ﷺ (رقية وأم كلثوم) قبل البعثة، فلما كانت البعثة أمرهما بتطلقيهما بعنف وشدة، حتى طلقاهما.

- ولما مات عبد الله الابن الثاني لرسول الله ﷺ استبشر أبو لهب، وهرول إلى رفقائه يبشرهم بأن محمدًا صار أبتر.

- وكان أبو لهب يجول خلف النبي ﷺ في موسم الحج والأسواق لتكذيبه، وكان يضربه بالحجر حتى يدمي عقباه.

- وكانت امرأة أبي لهب (أم جميل أروى بنت حرب) أخت أبي سفيان تحمل الشوك وتضعه في طريق النبي ﷺ وعلى بابه ليلاً(١)، وكانت تلقي القاذورات على داره(٢)، وكانت سليطة اللسان تبسط فيه لسانها، وتطيل عليه الافتراء والدس، وتؤجج نار الفتنة، وتثير حربًا شعواء على

(١) الرحيم المختوم.
(٢) تاريخ الإسلام.

النبي ﷺ ؛ ولذلك وصفها القرآن بحمالة الحطب.

ولما سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن، أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها فهر -أي بمقدار ملء الكف- من الحجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم قالت: مذممًا عصينا، وأمره أبينا، ودينه قلينا.

ثم انصرفت فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ فقال: ما رأتني، لقد أخذ الله ببصرها عني(١)، كان أبو لهب يفعل كل ذلك وهو عم رسول الله ﷺ وجاره، كان بيته ملصقًا ببيته، كما كان غيره من جيران رسول الله ﷺ يؤذونه وهو في بيته.

- قال ابن إسحاق: كان النفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته: أبا لهب، والحكم بن أبي العاص بن أمية، وعقبة بن أبي معيط، وعدى بن حمراء الثقفي، وابن الأصداء الهذلي، وكانوا جيرانه، لم يسلم منهم أحدًا إلا الحكم بن أبي العاص(٢).

فكان أحدهم: يطرح عليه ﷺ رحم الشاة وهو يصلي.

وكان أحدهم: يطرحها في برمته إذا نصبت له.

حتى اتخذ رسول الله ﷺ حجرًا ليستتر به منهم إذا صلى، فكان

---

(١) سيرة ابن هشام.

(٢) هو أبو الخليفة الأموي مروان بن الحكم.

رسول الله ﷺ إذا طرحوا عليه ذلك الأذى يخرج به على العود، فيقف به على بابه ثم يقول: يا بني عبد مناف أي جوار هذا؟ ثم يلقيه في الطريق(١).

وازداد عقبة بن أبي معيط في شقاوته وخبثه، فقد روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض أيكم يجيء بسلا جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم وهو عقبة بن أبي معيط(٢).

فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبي لله وضع على ظهره بين كتفيه وأنا أنظر، لا أغني شيئًا، لو كانت لي منعة، قال فجعلوا يضحكون، ويميل بعضهم على بعض، (أي يتمايل بعضهم على بعض مرحًا وبطرًا)، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة، فطرحته عن ظهره، فرفع رأسه ثم قال: «اللهم عليك بقريش ثلاث مرات»، فشق ذلك عليهم إذ دعا عليهم، وقال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمى:

اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة،

وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة،

وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط.

---

(١) سيرة ابن هشام.

(٢) صرح بذلك في صحيح البخاري نفسه (٥٤٣/١).

وعدَّ السابع فلم يحفظه، فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذي عد رسول الله ﷺ صرعى في القليب (قليب بدر وهو اسم المقابر)، وكان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله ﷺ همزه ولمزه، وفيه نزل ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾(١).

أما أخوه أُبي بن خلف، فكان هو وعقبة بن أبي معيط متصافيين، وجلس عقبة مرة إلى النبي ﷺ وسمع منه، فلما بلغ ذلك أُبَيًا أنبه وعاتبه وطلب منه أن يتفل في وجه رسول الله ﷺ ففعل، وذكر أيضًا أنه وطئ على رقبته الشريفة وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان(٢)، وأُبي بن خلف نفسه فت عظمًا رميمًا ثم نفخه في الريح نحو رسول الله ﷺ(٣).

وكان أبو جهل يجيء أحيانًا إلى رسول الله ﷺ يسمع منه القرآن، ثم يذهب عنه فلا يؤمن، ولا يطيع، ولا يتأدب، ولا يخشى، ويؤذي رسول الله ﷺ بالقول، ويصد عن سبيل الله، ثم يذهب مختالاً بما يفعل، فخورًا بما ارتكب من الشر، كأنما فعل شيئًا يذكر، وفيه نزل قول الله تعالى: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾(٤) إلخ(٥).

وكان يمنع النبي ﷺ عن الصلاة منذ أول يوم رآه في الحرم، ومرة

---

(١) سورة الهمزة: الآية (١).
(٢) سيرة ابن هشام.
(٣) نفس المصدر السابق.
(٤) سورة القيامة: الآية (٣١).
(٥) في ظلال القرآن.

مر به وهو يصلي عند المقام فقال: يا محمد ألم أنهك عن هذا، وتوعده فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره فقال: يا محمد بأي شيء تهددني؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي ناديًا، فأنزل ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾[(١)][(٢)].

وفي رواية: أن النبي ﷺ أخذ بخناقه وهزه، وهو يقول له: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴾[(٣)] فقال عدو الله: أتوعدني يا محمد؟ والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئًا، وإني لأعز من مشى بين جبليها[(٤)]، ولم يكن أبو جهل يفيق من غباوته بعد هذا الانتهار، بل ازداد شقاوة فيما بعد.

أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه، وأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليطأ رقبته، فما فجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه، فقالوا: مالك يا أبا الحكم؟ قال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهؤلاء أجنحة، فقال رسول الله ﷺ : «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا»[(٥)].

١- ضد المسلمين ولا سيما الضعفاء منهم[(٦)]:

كانت هذه الاعتداءات بالنسبة إلى النبي ﷺ مع ما له من وقار

---

(١) سورة العلق: الآية (١٧).
(٢) في ظلال القرآن.
(٣) سورة القيامة: الآيتان (٣٤، ٣٥).
(٤) في ظلال القرآن.
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه.
(٦) الرحيق المختوم.

وجلال في نفوس العامة والخاصة، ومع ما له من منعة أبي طالب أعظم رجل محترم في مكة.

أما بالنسبة إلى المسلمين ولا سيما الضعفاء منهم، فإن الإجراءات كانت أقسى من ذلك وأمر، ففي نفس الوقت قامت كل قبيلة تعذب من دان منها بالإسلام، أنواعًا من العذاب، ومن لم يكن له قبيلة فأجرت عليهم السادات ألوانًا من الاضطهاد، يفزع من ذكرها القلب الحليم.

أبو جهل:

كان إذا سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة، أنبه وأخزاه، وأوعده بإبلاغ الخسارة الفادحة في المال والجاه، وإن كان ضعيفًا ضربه وأغرى به[١].

عم عثمان بن عفان:

كان يلفه في حصير من أوراق النخيل ثم يدخنه من تحته[٢].

أم مصعب بن عمير:

لما علمت بإسلامه، أجاعته وأخرجته من بيته، وكان من أنعم الناس عيشًا، فتخشف جلده تخشف الحية.

أُمية بن خلف الجمحي:

كان يضع في عنق بلال حبلاً ثم يسلمه إلى الصبيان، يطوفون به في جبال مكة، حتى كان يظهر أثر الحبل في عنقه، وكان أُمية يشده شدًا ثم

---

(١) سيرة ابن هشام.
(٢) رحمة للعالمين.

يضربه بالعصا، وكان يلجئه إلى الجلوس في حر الشمس، وكان يكرهه على الجوع، وأشد من ذلك كله أنه كان يخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه في بطحاء مكة، ثم يأمر بصخرة عظيمة فتوضع على صدره ثم يقول: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول –وهو في ذلك– أحدٌ أحد، حتى مر به أبو بكر يومًا وهم يصنعون ذلك به، فاشتراه بغلام أسود، وقيل بسبع أواق أو بخمس من الفضة وأعتقه.

أبو جهل:

كان عمار بن ياسر مولى لبني مخزوم، أسلم هو وأبوه وأمه، فكان المشركون وعلى رأسهم أبو جهل يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء، فيعذبونهم بحرها، ومر بهم النبي ﷺ وهم يُعذَبون فقال: «صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة»، فمات ياسر في العذاب.

وطعن أبو جهل سمية –أم عمار– في قُبلها –فرجها– بحربة فماتت، وهي أول شهيدة في الإسلام، وشددوا العذاب على عمار بالحر تارة، وبوضع الصخر أحمر على صدره أخرى، وبالتغريق أخرى، وقالوا لا نتركك حتى نسب محمدًا، أو تقول: في اللات والعزى خيرًا، فوافقهم على ذلك مكرهًا، وجاء باكيًا معتذرًا إلى النبي ﷺ فأنزل الله ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[1].

المشركون: كانوا يشدون برجل أبو فكيهه –واسمه أفلح– مولى لبني

---

(١) سورة النحل: الآية (١٠٦).

عبد الدار الحبل ثم يجرونه على الأرض[١]، وكانوا يلبسون بعض الصحابة درعًا من حديد، ثم يلقونه على صخرة ملتهبة، وكانوا يذيقون خباب بن الأرت، مولى لأم أنمار بنت سباع الخزاعية أنواعًا من التنكيل، يأخذون بشعر رأسه فيجذبونه جذبًا، ويلوون عنقه تلوية عنيفة، وأضجعوه مرات عديدة على فحام ملتهبة، ثم وضعوا عليه حجرًا حتى لا يستطيع أن يقوم.

وكانوا يسومون زنيرة والنهدية وابنتها وأم عبيس (إماء أسلمن) من العذاب أمثال ما ذكرنا.

عمر بن الخطاب وهو يومئذ مشرك: كان يضرب جارية أسلمت، لبني مؤمل وهم حي من بني عدي، حتى إذا مل قال: إني لم أتركك إلا ملالة، وابتاع أبو بكر هذه الجواري فأعتقهن، كما أعتق بلالاً، وعامر بن فهيرة[٢]، وقائمة المعذبين في الله طويلة ومؤلمة جدًا، فما من أحد علموا بإسلامه إلا تصدوا له وآذوه.

حماية أبي طالب لرسول الله:

جربت قريش مع النبي ﷺ وأصحابه كل أساليب الوحشية فلم تفلح في إثناء أحد من المسلمين عن دينه[٣]، ولما يئست من أساليب القسوة والتعذيب، حاولت أن تجرب أساليب الترغيب والملاينة[٤]، وقررت أن

(١) رحمة للعالمين.
(٢) نفس المرجع السابق.
(٣) سيرة ابن هشام.
(٤) تاريخ الإسلام.

تستخدم أبا طالب ليقوم بدور الوساطة بينها وبين النبي ﷺ [١].

١- مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا[٢]، (لم يكن رسول الله ﷺ سبابًا ولا شتامًا ولا لعانًا، وإنما كان يتلو عليهم ما ينزله الله عليه من الآيات التي تكشف حقيقة أوليائهم، وتجردهم مما كان شياطين الإنس والجن نسجوه حولهم في عقول الناس من أكاذيب تجعلهم عند الناس مقدسين كتقديس الله، بل تجعل لهم من صفات الله ما يعتقدون أنها تقدر على كل شيء، وتسمع وتجيب وغير ذلك مما يدعوهم إلى دعائهم، والنذر لهم، والحلف بهم، وغير ذلك.

فحين كان يتلو رسول الله ﷺ هذه الآيات، يشيع السدنة أنه يسب آلهتهم ويعيبها)[٣]، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقًا، وردهم ردًا جميلاً، فانصرفوا عنه.

٢- ولما مضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يُظهر دين الله ويدعو إليه، اشتد العداء بينه وبين قريش، فمشوا إلى أبي طالب مرة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سنًا وشرفًا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن

---

(١) تاريخ الإسلام.
(٢) محمد نبي البر.
(٣) مختصر سيرة الرسول.

أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا مِنْ شتم آباءنا، وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا عنه.

فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفسًا بإسلام رسول الله ﷺ ولا خذلانه، ثم بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، فابق عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق.

فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه رأي أنه خاذله، وأنه قد ضعف عن نصرته، والقيام معه، قال رسول الله ﷺ : «يا عمي والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته».

ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى، ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يابن أخي، فأقبل رسول الله ﷺ فقال: اذهب يابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدًا[١].

٣- ثم إن قريشًا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، أنهد (أشد وأقوى) فتى في قريش وأجمله، فقالوا له: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد، خذه واتخذه ولدًا فهو لك، وأسلم إلينا

---

(١) محمد نبي البر.

ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق قومك، وسفه أحلامهم فنقتله، فإنما هو رجل برجل، فقال: والله لبئس ما تسومونني، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبدًا.

فقال المطعم بن عدي بن نوفل: والله يا أبا طالب، لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئًا، فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي، فاصنع ما بدا لك.

فاشتد الأمر، وحميت الحرب[١]، فقد اجتمع أشراف قريش يومًا في الحجر فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط!! سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، فبينا هم في ذلك، إذا طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفًا بالبيت، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول، فعرف ذلك في وجه رسول الله ﷺ ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفًا بالبيت، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرف ذلك في وجه رسول الله ﷺ ، ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فوقف ثم قال: «أتسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بالذبح» أي الهلاك.

(١) محمد نبي البر.

فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة ليهدئه بأحسن ما يحمد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، فوالله ما كنت جهولاً، فانصرف رسول الله ﷺ .

حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بغلكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه، فبينما هم في ذلك، طلع عليهم رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، وأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم، فيقول رسول الله ﷺ : «نعم، أنا الذي أقول ذلك»، فأخذ رجل منهم بمجمع ردائه ووضع ثوبه في عنقه وخنقه (يقال إنه عقبة بن أبي معيط)[١].

فقام أبي بكر رضي الله عنه دونه فدفعه وهو يبكي ويقول: أتقتلون رجلاً أن يقول: ربي الله؟ فانصرفوا عنه.

أول دم أهرق في الإسلام[٢]:

في السنة الرابعة ضرب سعد بن أبي وقاص رجلاً من المشركين فشجه، ذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يجتمعون في الشعاب فيصلون فيها، فرآهم رجل من الكفار ومعه جماعة من قريش، فسبوهم وضرب سعد بن أبي وقاص رجلاً منهم، فسال دمه، فكان أول دم أهرق في الإسلام.

---

(١) الرحيق المختوم، ص٩٨.
(٢) مختصر سيرة الرسول.

دار الأرقم(١):

كان من الحكمة تلقاء هذه الاضطهادات أن يمنع رسول الله ﷺ المسلمين من إعلان إسلامهم قولاً أو فعلاً، وألا يجتمع بهم إلا سرًا، حفاظًا على المسلمين من أذى قريش، أما رسول الله ﷺ فكان يجهر بالدعوة والعبادة بين ظهراني المشركين، لا يصرفه عن ذلك شيء، وكانت دار (الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي) على الصفا، وكانت بمعزل عن أعين الطغاة ومجالسهم، فاتخذها مركز لدعوته، ولاجتماعه بالمسلمين من السنة الخامسة من النبوة.

محاولة أبو جهل قتل الرسول ﷺ(٢):

قال أبو جهل: يا معشر قريش إن محمدًا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وشتم آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم.

قالوا: والله لا نسلمك لشيء أبدًا، فامضي لما تريد، فلما أصبح أبو جهل، أخذ حجرًا كما وصف، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو، فقام يصلي وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم، ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو

(١) الرحيق المختوم.
(٢) الرحيق المختوم.

جهل الحجر ثم أقبل نحوه.

حتى إذا دنا منه رجع منهزمًا منتقعًا لونه، مرعوبًا وقد يبست يداه على الحجر، حتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال قريش فقالوا له: مالك يا أبا الحكم؟ قال: قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفحل قط، فهم بي أن يأكلني، قال رسول الله ﷺ : «ذلك جبريل عليه السلام لو دنا لأخذه»(١).

موقف آخر لأبو جهل مع رسول الله ﷺ يؤدي إلى إسلام حمزة:

فقد مر أبو جهل ذات يوم بالنبي ﷺ فشتمه وآذاه وسب دينه، واحتمل النبي تلك الإساءة، ولكن ذلك كان سببًا في إسلام عمة حمزة بن عبد المطلب.

عتيبة بن أبي لهب: ودعوة النبي ﷺ عليه، أتى يومًا إلى رسول الله ﷺ فقال: أنا أكفر بالنجم إذا هوى، وبالذي دنا فتدلى، ثم تسلط عليه بالأذى، وشق قميصه، وتفل في وجهه إلا أن البزاق لم يقع عليه، وحينئذ دعا عليه النبي ﷺ وقال: «اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك».

وقد استجيب دعاؤه ﷺ ، فقد خرج عتيبة مرة في نفر من قريش، حتى نزلوا في مكان من الشام، فطاف بهم الأسد تلك الليلة، فجعل عتيبة يقول: يا ويل آخي، هو والله آكلي، كما دعا محمد عليَّ، قتلني وهو

---

(١) سيرة ابن هشام.

بمكة وأنا بالشام، فغدا عليه الأسد من بين القوم وأخذ برأسه فذبحه.

الهجرة إلى الحبشة[١]:

لما اشتد أذى قريش ومضايقتها للمسلمين، خصوصًا الضعاف منهم، كان الأقوياء من المسلمين في حمى أهلهم وأقربائهم، فعندما أسلم الوليد بن الوليد بن المغيرة، وأراد رجال من بني مخزوم النيل منه، منعه منهم أخوه هشام بن الوليد، وهددهم بقتل من يؤذيه منهم.

وكانت الحبشة متجر قريش[٢].

ورأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وأنه لا يقدر على حمايتهم[٣]، فنزلت سورة الكهف في تلك الظروف الحالكة، وكأنها إشارة من الله إلى عبادة المؤمنين، فالسورة اشتملت على ثلاث قصص:

١- قصة أصحاب الكهف: ترشد إلى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان حين مخافة الفتنة على الدين، ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾[٤].

٢- قصة الخضر وموسى: تفيد أن الظروف لا تجري حسب الظاهر دائمًا، ففيها إشارة إلى أن الحرب القائمة ضد المسلمين ستنعكس تمامًا.

---

(١) تاريخ الإسلام.
(٢) مختصر سيرة الرسول، لمحمد بن عبد الوهاب.
(٣) محمد نبي البر.
(٤) سورة الكهف: الآية (١٦).

٣- قصة ذي القرنين: تفيد أن الله تعالى لا يزال يبعث من عباده - بين آونة وأخرى- من يقوم بإنجاء الضعفاء من يأجوج ذلك الزمان ومأجوجه، وأن الأحق بإرث الأرض إنما هم عباد الله الصالحون.

ثم نزلت سورة الزمر: تشير إلى الهجرة (وأرض الله واسعة)آية ١٠

وقد علم رسول الله ﷺ أن أصحمة النجاشي ملك الحبشة ملك عادل، لا يُظلم عنده أحد، فأمر المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة فرارًا بدينهم من الفتنة[١].

في رجب سنة خمسة من النبوة:

هاجر أول فوج وكان مكونًا من اثنى عشر رجلاً وأربع نسوة، رئيسهم عثمان بن عفان رضي الله عنه ومعه السيدة رقية رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ ، وقد قال النبي ﷺ فيهما: «إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام»[٢].

وممن خرج: الزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، وأبو سلمة وامرأته ﭫ، خرجوا متسللين سرًا في ظلمة الليل، حتى لا تفطن لهم قريش، فوفق الله لهم ساعة وصولهم إلى الساحل سفينتين للتجار فحملوهم إلى الحبشة، وفطنت لهم قريش، فخرجت في آثارهم، فلم يدركوا منهم أحدًا[٣].

---

(١) الرحيق المختوم.
(٢) نفس المصدر.
(٣) مختصر سيرة الرسول، لمحمد بن عبد الوهاب.

قبل النجاشي جوار المسلمين وبسط عليهم حمايته وأمنه، لكن حب الوطن يجري في الإنسان مجرى الدم في عروقه، فظلوا يتلمسون الأخبار عن مكة، وعن رسول الله ﷺ [١].

في رمضان سنة خمسة من النبوة[٢]:

خرج النبي ﷺ إلى الحرم، وهناك جمع كبير من قريش، فقام فيهم وأخذ يتلو سورة النجم بغتة، إنهم لم يكونوا سمعوا كلام الله قبل ذلك، ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[٣]، فلما باغتهم بتلاوة هذه السورة، وقرع آذانهم كلام إلهي رائع خلاب -لا يحيط بروعته وجلالته البيان- بقي كل واحد مصغيًا إليه، حتى إذا تلا في خواتيم هذه السورة قوارع تطير لها القلوب، ثم قرأ ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾[٤] ثم سجد، لم يتمالك أحد نفسه حتى خر ساجدًا[٥].

وإنما سجد المشركون حين أخذتهم عظمة القرآن بقوة أسلوبه وعظمة آياته، وجلال سحره، وعذوبة ألفاظه، وحلاوته الآخاذة، وبالأخص حين قرأه رسول الله ﷺ عندما بلغ السجدة، وسجد معه المسلمون والمشركون كلهم، إلا شيخًا من قريش، رفع إلى جبهته كفًا من حصى فسجد عليه وقال: يكفيني هذا.

---

(١) تاريخ الإسلام.
(٢) الرحيق المختوم.
(٣) سورة فصلت: الآية (٢٦).
(٤) سورة النجم: الآية (٦٢).
(٥) الرحيق المختوم.

وسقط في أيديهم لما أحسوا أن جلال كلام الله لوى زمامهم، فارتكبوا عين ما كانوا يبذلون قصارى جهدهم في محوه وإفنائه، وقد توالي عليهم اللوم والعتاب ممن لم يحضر هذا المشهد من المشركين.

وعندئذ: كذبوا على رسول الله ﷺ وافتروا عليه، أنه عطف على أصنامهم بكلمة تقدير(١)، فلما بلغ: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾(٢)(٣)، قال: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى، فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، وقد علمنا أن الله يخلق ويرزق ويحيي ويميت، ولكن نريد آلهتنا تشفع عنده، فإذا أقر بذلك فليس بيننا وبينه أي خلاف، فلما بلغ السجدة سجدوا ثم جاءوا بهذا الإفك المبين، ليعتذروا عن سجودهم مع النبي ﷺ، وليس يُستغرب هذا من قوم كانوا يؤلفون الكذب، ويطيلون الدس والافتراء.

عودة المهاجرين من الحبشة إلى مكة:

في شوال سنة ٥ بلغهم كذبًا أن قريشًا أسلمت، فلم يتبينوا حقيقة سجود قريش للقرآن، فرجعوا إلى مكة في شوال من نفس السنة، فلما قرب مهاجروا الحبشة من مكة، وبلغهم أمرهم، توقفوا عن الدخول ثم دخل كل رجل في جوار رجل من قريش، ثم اشتد عليهم البلاء والعذاب

---

(١) الرحيق المختوم.
(٢) مختصر سيرة الرسول لمحمد بن عبد الوهاب.
(٣) سورة النجم: الآيتان (١٩، ٢٠).

من قريش[١].

بعض نماذج ممن دخلوا في جوار المشركين في مكة:

عثمان بن مظعون:

لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة، قال: والله فإن عدوي ورواحي آمنًا بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني، لنقص كبير في نفسي، فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس، وفت ذمتك، قد رددت إليك جوارك، فقال له: لم يابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي، قال: لا، ولكني أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره.

قال فانطلق إلى المسجد فاردد عليّ جواري علانية كما أجرتك علانية، فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان قد جاء يرد عليَّ جواري، قال: صدق، وقد وجدته وفيًا كريم الجوار، ولكني قد أحببت ألا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره، ثم انصرف عثمان، ولبيد بن ربيعة في مجلس من قريش ينشدهم، فجلس معهم عثمان، فقال لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل، قال عثمان: صدقت، قال لبيد: وكل نعيم لا محالة زائل، قال عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا يزول، قال لبيد بن ربيعة: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذي جليسكم، فمتى حدث هذا فيكم؟ فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه في سفهاء

(١) سورة النجم: الآية (٦٢).

معه، قد فارقوا ديننا فلا تجدن نفسك من قوله.

فرد عليه عثمان حتى شرى أمرهما، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضرها، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان، فقال: أما والله يابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنية، لقد كنت في ذمة منيعة، فيقول عثمان: بل والله إني عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا شمس، فقال له الوليد: هلم يابن أخي، إن شئت فعد إلى جوارك، فقال: لا.

٢- ثم إن أبا سلمة:

لما استجار بأبي طالب، مشى إليه رجال من بني مخزوم، فقال له: يا أبا طالب، لقد منعت منا ابن أخيك محمدًا، فمالك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال: إنه استجار بي، وهو ابن أختي، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لما أمنع ابن أخي.

فقام أبو لهب فقال: يا معشر قريش، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ، ما تزالون تتواثبون عليه في جواره من بين قومه، والله لتنتهن عنه أو لنقومن معه في كل ما قام فيه، حتى يبلغ ما أراد، فقالوا: بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة، وكان لهم وليًا ناصرًا على رسول الله ﷺ، فأبقوا على ذلك، فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول، ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله ﷺ وقال شعرًا يحرضه على نصرته ونصرة رسول الله ﷺ.

الهجرة إلى الحبشة مرة أخرى(١):

فلما اشتد عليهم العذاب أمرهم رسول الله ﷺ بالهجرة مرة ثانية إلى الحبشة، وفي هذه المرة هاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلاً إن كان فيهم عمار، فإنه يُشك فيه، وثمان عشرة أو تسع عشرة امرأة.

إسلام حمزة بن عبد المطلب(٢):

في أواخر السنة السادسة من النبوة، مر أبو جهل برسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه ونال منه، ورسول الله ﷺ ساكت، فقام رسول الله ﷺ ودخل المسجد، وكانت مولاة لعبد الله بن جُدعان في مسكن لها على الصفا، تسمع ذلك، وأقبل حمزة من صيد له متوشحًا قوسه، وكان يسمى أعز قريش، وكان إذا رجع من صيده لم(٣) يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، ثم لم يمر على نادٍ من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم، فلما مر بالمولاة، وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، قالت له: يا أبا عمارة، لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد آنفًا من أبي جهل! وأخبرته بما رأت وسمعت من أبي جهل، فاحتمل حمزة الغضب، لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى ولم يقف على أحد، معدًا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به.

فلما دخل المسجد نظر إليه جالسًا في القوم، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة، ثم قال: أتشتمه

---

(١) الرحيق المختوم.
(٢) مختصر سيرة الرسول لمحمد بن عبد الوهاب.
(٣) محمد نبي البر.

وأنا على دينه أقول ما يقول، فرد عليّ ذلك إن استطعت؟

فقامت رجال من بني مخزوم (حى أبي جهل) إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإني قد والله سببت ابن أخيه سبًا قبيحًا[١]. وكان إسلام حمزة أول الأمر أنفة رجل أبى أن يهان مولاه، ثم شرح الله صدره فاستمسك بالعروة الوثقى، واعتز به المسلمون أيما اعتزاز[٢].

سفارة عتبة بين النبي ﷺ وقريش[٣]:

لما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع، وأن حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه.

وحين أسلم حمزة ورأت قريش أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، قال عتبة بن ربيعة وكان سيدًا، وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده، يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورًا لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا؟ فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه.

فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يابن أخي، إنك منا حيث علمت من الشرف في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع منى أعرض

---

(١) محمد نبي البر.
(٢) الرحيق المختوم.
(٣) محمد نبي البر.

عليك أمورًا، تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها.

فقال له رسول الله ﷺ : «قل يا أبا الوليد، أسمع»، قال: يابن أخي:

- إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً.

- وإن كنت تريد به شرفًا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك.

- وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا.

- وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا (ما يتراءى للإنسان من الجن) تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع (من يتبع من الجن) على الرجل حتى يداوى منه.

حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: «أقد فرغت يا أبا الوليد؟»، قال: نعم، قال: «فاسمع مني»، قال: أفعل، فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ ﴾»، ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت له، وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فيها فسجد، ثم قال: «قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك»، فقام عتبة إلى أصحابه.

فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة.

يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلو بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به.

قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، فقال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم(١).

استجابة الرسول ﷺ لدعوة قومه(٢):

اجتمع أشراف قريش من كل قبيلة بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه، إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأتهم، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعًا، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه رأي، وكان عليهم حريصًا يحب رشدهم، حتى جلس إليهم.

فقالوا له: يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك، وما بقى أمر

---

(١) محمد نبي البر.
(٢) نفس المرجع السابق.

قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك، وإن كنت غير قابل منا شيئًا عرضناه عليك، فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدًا، ولا أقل ماءً، ولا أشد عيشًا منا، فسل ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهارًا كأنهار الشام.

فقال لهم رسول الله ﷺ : «ما بهذا بعثت إليكم، إنما جئتكم من الله بما بعثني به، وقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم».

قالوا: فإذا لم تفعل لنا فخذ لنفسك، سل ربك أن يبعث معك ملكًا يصدقك بما تقول، وسله فليجعل لك جنانًا وقصورًا وكنوزًا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم، وتلتمس المعاش كما نلتمس، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك، إن كنت رسولاً كما تزعم.

فقال رسول الله ﷺ : «ما بعثت إليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيرًا ونذيرًا»، قالوا: فأسقط السماء علينا كسفًا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فقال رسول الله ﷺ : «ذلك إلى الله إن شاء أن يفعله بكم فعل».

وقام عنهم رسول الله ﷺ حزينًا آسفًا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه، ولما رأى من مباعدتهم إياه.

إسلام عمر[١]:

وخلال هذا الجو الملبد بسحائب الظلم والطغيان، أضاء برق آخر أشد بريقًا وإضاءة من الأول، ألا وهو إسلام عمر بن الخطاب، أسلم في ذي الحجة سنة ست من النبوة، وكان نصرًا للإسلام بعد ثلاثة أيام من إسلام حمزة رضي الله عنه.

يروي أن النبي ﷺ كان يقول قبل إسلام عمر ويدعو لإسلامه: «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بعمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام (أبو جهل)»، فكان أحبهما إلى الله عمر رضي الله عنه.

يُروى إنه التجأ ليلة إلى المبيت خارج بيته، فجاء إلى الحرم والنبي ﷺ قائم يصلي، وقد استفتح سورة الحاقة، فجعل عمر يستمع إلى القرآن ويعجب من تأليفه، فقال في نفسه هذا والله شاعر كما قالت قريش، فقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾، فقال في نفسه كاهن، فقرأ: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى آخر السورة.

قال: فوقع الإسلام في قلبي، لكن كانت العصبية الجاهلية والتعاظم بدين الآباء هي الغالبة على قلبه، فظل يعمل ضد الإسلام.

ويُروى أنه قد تألم لهجرة المسلمين إلى الحبشة، وتأثر لفراقهم وتركهم أهلهم ووطنهم وحمَّل النبي ﷺ مسئولية ذلك، فقرر أن يخلص

---

(١) الرحيق المختوم.

مكة من هذا الذي فرق جماعتها، وعاب آلهتها، وحمل نفرًا من أهلها على ترك وطنهم الحبيب[١].

وكانت أخته (فاطمة بنت الخطاب) عند (سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل)، وكانت قد أسلمت وأسلم بعدها زوجها، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، وكان نعيم بن عبد الله، وكان قد أسلم، وكان يستخفى بإسلامه من قومه.

فخرج عمر يومًا متوشحًا سيفه يريد قتل النبي ﷺ فلقيه نعيم فقال[٢]: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمدًا هذا الذي فرق أمر قريش فأقتله، فقال له نعيم: كيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدًا؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم، قال عمر: وأي أهل بيتي؟ قال نعيم: ختنك وابن عمك (سعيد بن زيد)، وأختك (فاطمة بنت الخطاب) فقد والله أسلما، وتابعا محمدًا على دينه، فعليك بهما، وبذلك نجح نعيم في تحويل عمر عن وجهته.

فرجع عمر عائدًا إلى أخته وختنه، وعندهما خباب بن الأرت، معه صحيفة فيها (طه) يقرئهما إياها، فلما سمعوا حس عمر، تغيب خباب في مخدع لهم، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة الخباب عليهما، فلما

(١) تاريخ الإسلام.
(٢) محمد نبي البر.

دخل قال: ما هذه الهينمة (صوت كلام لا يُفهم) التي سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئًا، قال: بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدًا على دينه.

وبطش بختنه سعيد بن زيد فقامت إليه أخته فاطمة لتكفه عن زوجها، فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم، ندم على ما صنع، وقال لأخته: أعطني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون آنفًا، أنظر ما هذا الذي جاء به محمد.

وكان عمر كاتبًا فلما قال ذلك، قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي، وحلف لها بآلهته ليردنها -إذا قرأها- إليها، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه، فقالت له: يا أخي إنك نجس، على شركك، وإنه لا يمسها إلا الطاهر، فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة، وفيها (طه) فقرأها فلما قرأ منها صدرًا، قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه!

فلما سمع ذلك خباب خرج إليه، فقال له: يا عمر والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإني سمعته أمس وهو يقول: «اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم عمرو بن هشام، أو بعمر بن الخطاب»، فالله الله يا عمر، فقال له عند ذلك عمر: فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم، فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا، ومعه فيه نفر من أصحابه.

فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته، قام رجل من أصحاب رسول الله

ﷺ فنظر من خلل الباب فرآه متوشحًا السيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزِع، فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحًا السيف.

فقال حمزة بن عبد المطلب: فأذن له، فإن كان يريد خيرًا بذلناه له، وإن كان يريد شرًا قتلناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ : «ائذن له»، فأذن له الرجل ونهض رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ بمجمع ردائه، ثم جذبه جذبة شديدة وقال: «ما جاء بك يابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة»، فقال عمر: يا رسول الله، جئتك لأؤمن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم.

فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم، وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر بعد إسلام حمزة، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ وينتصفون بهما من عدوهم، وكان عمر يقول: لما أسلمت تلك الليلة تذكرت أي أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوة، حتى آتيه وأخبره أني قد أسلمت، قلت: أبو جهل، فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه، فخرج إليّ أبو جهل فقال: مرحبًا وأهلاً يابن أختي، ما جاء بك؟ قلت: جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله وبرسوله محمد وصدقت بما جاء به، فضرب الباب في وجهي وقال: قبحك الله وقبح ما جئت به(١).

قال ابن مسعود:

---

(١) محمد نبي البر.

ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، وقيل: لما أسلم عمر ظهر الإسلام، ودعى إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقًا وطفنا بالبيت، وانتصفنا ممن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتي به، وقيل: مازلنا أعزة منذ أسلم عمر.

قال عمر: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام، ثم أسلمت وقلت يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم، قلت: فيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن، فأخرجنا في صفين، حمزة في أحدهما، وأنا في الآخر، وله كديد ككديد الطحين، حين دخلنا المسجد فنَظَرَت إليّ قريش وإلى حمزة، فأصابهم كآبة لم يصبهم مثلها، فسماني رسول الله ﷺ يومئذ (الفاروق)[1].

عظمة الإسلام وما يحدثه في النفوس من تغيير:

فقد كان إسلام عمر بعد خروجِ من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة، وتقول أم عبد الله بنت أبي خثمة: والله إنا لنرتحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر زوجي في بعض حاجاتنا، إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف عليّ وهو على شركه، وكنا نلقى منه البلاء أذى لنا وشدة علينا، فقال: إنه للانطلاق يا أم عبد الله؟

قلت: نعم، والله لنخرجن في أرض الله، آذيتمونا وقهرتمونا حتى

(١)مختصر سيرة الرسول ﷺ لمحمد بن عبد الوهاب.

يجعل الله مخرجًا، فقال: صحبكم الله، ورأيت له رقة لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه خروجنا، فجاء عامر بحاجته تلك، فقلت له: يا أبا عبد الله، لو رأيت عمر آنفًا ورقته وحزنه علينا، قال: أطمعت في إسلامه؟ قلت: نعم، قال: فلا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب، يأسًا منه، لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الإسلام[١].

مكيدة قريش بمهاجري الحبشة

كانت قريش تخشى أن يتسرب أمر الإسلام خارج مكة إلى شبه الجزيرة العربية، فإذا بالإسلام ينتقل متجاوزًا أرض العرب كلها، ويذهب إلى الحبشة.

فهل يسكت زعماء الشرك على هذا؟ المهاجرون في أمان على أنفسهم ودينهم أيضًا، لقد قررت قريش أن تفسد على المسلمين خطتهم، وأن تعيدهم إلى مكة لتؤدبهم على صنعيهم هذا، فأرسلت إلى النجاشي وفدًا يطلب منه إعادة هؤلاء المهاجرين إلى بلدهم.

واختارت لهذه المهمة عمرو بن العاص المشهور بالذكاء والبراعة في المفاوضات، وضمت إليه عبد الله بن أبي ربيعة[٢] قبل أن يسلما، وأرسلت معهما الهدايا للنجاشي ولبطارقته، فوزع عمرو الهدايا على البطارقة أولاً واشترى ضمائرهم حتى يساعدوه في تحقيق هدفه، برد المهاجرين إلى مكة.

---

(١) محمد نبي البر.
(٢) تاريخ الإسلام.

ثم حضرا إلى النجاشي وقدما له الهدايا ثم كلماه، فقال عمرو: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منا، غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بَعَثَنا أليك فيهم أشراف قومهم، لتردهم إليهم.

وقال البطارقة:

صدقا أيها الملك فأسلمهم إليهما؛ ولأن النجاشي لا يُظلم عنده أحد، فمقتضى العدل أن يسمع الملك من المسلمين بعد أن سمع من عمرو بن العاص مبعوث قريش وسفيرها إليه فقرر الملك أن يسمع منهم قبل أن يبت في أمرهم، فأرسل إلى المسلمين فحضروا، وكانوا قد أجمعوا على الصدق كائنًا ما كان.

فقال لهم النجاشي: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني، ولا في دين أحد من هذه الملل، قال جعفر بن أبي طالب وكان هو المتكلم عن المسلمين: أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منا القوي الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقته وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان.

وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئًا، وأمرنا

بالصلاة والزكاة والصيام، وعدد عليه أمور الإسلام.

فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا في ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم! فقال له النجاشي: فاقرأه عليّ، فقرأ عليه صدرًا من ﴿ كٓهيعٓصٓ﴾ فبكى النجاشي وبكى البطارقة، ثم قال النجاشي مخاطبًا عمرو بن العاص وصاحبه: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، فخرجا، وقال عمرو بن العاص لعبد الله بن ربيعة، والله لآتينهم غدًا بما أستأصل به خضراءهم.

فلما كان الغد قال للنجاشي: أيها الملك! إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيمًا فأرسل إليهم النجاشي يسألهم عن قولهم في المسيح، ففزعوا، ولكن أجمعوا على الصدق كائنًا ما كان.

قال له جعفر: نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ ، هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فقال النجاشي: والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت، ثم قال للمسلمين: اذهبوا فأنتم الآمنون بأرضي،

ثم قال لحاشيته: ردوا عليهما هداياهما فعادا إلى مكة خائبين وفشلت المكيدة.

الحصار والمقاطعة العامة سنة ٧ من البعثة ليلة هلال المحرم:

فكر أبو طالب فيما حدث من أحداث بخصوص ابن أخيه محمد ﷺ :

١- أن المشركين هددوه بالمنازلة.

٢- حاولوا مساومة ابن أخيه بعمارة بن الوليد ليقتلوه.

٣- أن أبا جهل ذهب إلى ابن أخيه بحجر يرضخه.

٤- إن عقبة بن أبي معيط خنق ابن أخيه بردائه وكاد يقتله.

٥- أن ابن خطاب كان قد خرج بالسيف ليقضي على ابن أخيه.

كان أبو طالب يتدبر في هذه الحوادث، وتأكد أن المشركين عازمون على قتل ابن أخيه، وما يغني حمزة أو عمر أو غيرهما إن انقض أحد من المشركين على ابن أخيه بغتة، فقام أبو طالب في أهل بيته من بني هاشم وبني عبد المطلب (ولدي عبد مناف)، ودعاهم إلى ما هو عليه من منع ابن أخيه والقيام دونه، فأجابوه إلى ذلك مسلمهم وكافرهم، حمية للجوار العربي، إلا ما كان من أخيه أبي لهب، فإنه فارقهم وكان مع قريشٍ.

ولما رأت قريش:

١- أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلدًا أصابوا به أمنًا وقرارًا وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم.

٢- وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه.

٣- وجعل الإسلام يفشوا في القبائل.

اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب (ولدي عبد مناف) على ألا ينكحوا إليهم، ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئًا، ولا يبتاعوا منهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل.

فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدًا على أنفسهم، فأمرهم أبو طالب أن يدخلوا شعبه فلبثوا فيه ثلاث سنين، فانحاز بنو هاشم وبنو عبد المطلب، مؤمنهم وكافرهم -إلا أبا لهب- وحبسوا في شعب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة.

ثلاثة أعوام في شعب أبي طالب[١]:

واشتد الحصار والبلاء، وقطعوا عنهم الأسواق، فلا يتركوا طعامًا يدخل مكة، ولا بيعًا إلا بادروا فاشتروه، ومنعوه أن يصل شيء منهم إلى بني هاشم، حتى بلغهم الجهد، والتجأوا إلى أكل الأوراق والجلود، حتى كان يُسمع أصوات نسائهم وصبيانهم يتغاضون من الجوع، وكان لا يصل إليهم شيئًا إلا سرًا، فكانوا لا يخرجون من الشعب لاشتراء الجوائح إلا في

---

(١) الرحيق المختوم.

الأشهر الحرم، وكانوا يشترون من العير التي ترد مكة من خارجها، ولكن أهل مكة كانوا يزيدون عليهم في السلعة قيمتها حتى لا يستطيعوا الشراء.

وكان حكيم بن حزام ربما يحمل قمحًا إلى عمته خديجة ﵄ وقد تعرض له مرة أبو جهل فتعلق به ليمنعه، فتدخل بينهما أبو البختري ومكنه من حمل القمح إلى عمته.

وكان أبو طالب يخاف على رسول الله ﷺ ، فكان إذا أخذ الناس مضاجعهم يأمر رسول الله ﷺ أن يضطجع على فراشه، حتى يرى ذلك من أراد اغتياله، فإذا نام الناس، أمر أحد بنيه أو إخوانه أو بني عمه فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ ، وأمره أن يأتي بعض فرشهم، وكان رسول الله ﷺ والمسلمون يخرجون في أيام الموسم، فيلقون الناس ويدعونهم إلى الإسلام، وقد أسلفنا ما كان يأتي به أبو لهب. وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالاً شديدًا[١].

نقض الصحيفة سنة ١٠ من النبوة شهر محرم[٢]

مرت ثلاثة أعوام كاملة، من محرم سنة ٧ إلى محرم سنة ١٠، والأمر على ذلك، وفي المحرم سنة عشر من النبوة حدث نقض الصحيفة وفك الميثاق.

وذلك أن قريشًا كانوا بين راض بهذا الميثاق وكاره له، فسعى في نقض الصحيفة من كان كارهًا لها، وكان القائم بذلك هشام بن عمرو بن

(١) مختصر سيرة الرسول لمحمد عبد الوهاب.
(٢) تاريخ الإسلام.

ربيعة بن الحارث قرابة بعيدة من جهة الأم، من بني عامر بن لؤي، الذي عرف بأنه كان من أكثر الرجال عطفًا على المحاصرين، إذ كان يمدهم بالطعام سرًا بالليل.

ذهب (هشام) هذا إلى (زهير بن أبي أمية المخزومي)، ابن عمة النبي ﷺ عاتكة بنت عبد المطلب، وقال له: أرضيت يا زهير أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء، وأخوالك بحيث تعلم؟! (حيث قد علمت).

أما إني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوته إلى ما دعاك إليه ما أجابك إليه أبدًا، قال: ويحك يا هشام! فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي[1] رجل آخر لقمت في نقضها حتى أنقضها.

قال: قد وجدت رجلاً، قال: فمن هو؟ قال: أنا، قال له زهير: أبغنا رجلاً ثالثًا، فذهب إلى (المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف)، فقال له: يا مطعم أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف، وأنت شاهد على ذلك، موافق لقريش فيه؟

قال: ويحك! فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، قال: قد وجدت ثانيًا، قال: من هو؟ قال: أنا، قال: ابغنا ثالثًا، قال: قد فعلت، قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية، قال: ابغنا رابعًا، فذهب إلى (البختري بن هشام) فقال له نحوًا مما قال للمطعم بن عدي، فقال: وهل من أحد يعين

(١) محمد نبي البر.

على هذا؟ قال: نعم، قال: من هو؟ قال: زهير بن أمية، والمطعم بن عدي، وأنا معك، هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث، قال: ابغنا خامسًا.

فذهب إلى (زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد)، فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟ قال: نعم، ثم سمى له القوم، فتعدوا خطم الحجون (موضع بأعلى مكة، وخطم: مقدمته) ليلاً بأعلى مكة، فاجتمعوا هنالك، فأجمعوا أمرهم، وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها.

وقال زهير: أنا أبدؤكم، فأكون أول من يتكلم، فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير بن أمية عليه حلة فطاف بالبيت سبعًا ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى، لا يُباع ولا يُبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

قال أبو جهل، وكان في ناحية المسجد: كذبت والله لا تشق، قال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حيث كتبت، قال أبو البختري: صدق زمعة، لا نرضى ما كتب فيها، ولا نُقِر به، قال المطعم بن عدي: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها، وقال هشام بن عمرو: نحو من ذلك.

فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل تشوور فيه بغير هذا المكان، وأبو طالب جالس في ناحية المسجد، فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا (باسمك اللهم).

وبهذا انتهت فترة من أشق الفترات وأصعبها على النبي ﷺ وأهله، وخرجوا من شعبهم الذي انحصروا فيه، ليستأنف دعوته إلى دين الله تعالى دون كلل أو ملل، حتى أظهر الله دينه على الدين كله.

قريش تركوا القطيعة ولكن مازال الضغط على المسلمين والصد عن سبيل الله مستمر، وأسلم هشام بن عمرو يوم الفتح[١].

وخرج بنو هاشم من شعبهم وخالطوا الناس، وكان خروجهم في سنة عشر من النبوة، ومات أبو طالب بعد ذلك بستة أشهر، وبعده بأيام خديجة.

(١) مختصر سيرة الرسول لمحمد بن عبد الوهاب.

آخر وفد قريش إلى أبي طالب[١]

بعد الخروج من الشعب، كان أبو طالب قد جاوز الثمانين من سِنِّه، فلم يمض على خروجه من الشعب إلا أشهر معدودات، وإذا هو يلاحقه المرض، فقالت قريش: إن حمزة وعمر قد أسلما، وقد فشا أمر محمد في القبائل كلها (قبائل قريش)، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ من ابن أخيه وليعطه منا، والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا.

وفي لفظ: فإنا نخاف أن يموت الشيخ، فيكون إليه شيء، فتعيرنا به العرب، يقولون: تركوه حتى إذا مات عمة تناولوه، فمشوا إلى أبي طالب فكلموه[٢].

فقالوا: يا أبا طالب، إنك منا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى، وتخوفنا عليك، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادعه فخذ له منا، وخذ لنا منه، ليكف عنا ونكف عنه، وليدعنا وديننا، وندعه ودينه.

فبعث إليه أبو طالب فجاءه، فقال: يابن أخي، هؤلاء أشراف قومك، قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك، فقال رسول الله ﷺ: «نعم كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم (تدفع لكم الجزية)».

فقال أبو جهل: نعم وأبيك، وعشر كلمات، قال: «تقولون لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه»، فصفقوا بأيديهم ثم قالوا: أتريد يا

(١) الرحيق المختوم.
(٢) محمد نبي البر.

محمد أن تجعل الآهلة إلهًا واحدًا؟ إن أمرك لعجب!.

ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئًا مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم، حتى يحكم الله بينكم وبينه، ثم تفرقوا، فقال أبو طالب لرسول الله ﷺ: والله يابن أخي، ما رأيتك سألتهم شططا.

فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله ﷺ في إسلامه، فجعل يقول له: «أي عم، فأنت فقلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة».

فلما رأى حرص رسول الله ﷺ عليه قال: يابن أخي، والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بني أبيك من بعدي، وأن تظن قريش أني إنما قلتها جزعًا من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرك بها.

عام الحزن

وفاة أبي طالب:

كانت وفاته في رجب سنة عشر من النبوة، بعد الخروج من الشعب بستة أشهر، وفي الصحيح عن المسيب أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل، فقال: «أي عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلماه حتى قال آخر شيء كلمهم به على ملة عبد المطلب.

فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فنزلت ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ

مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾[١]، ونزلت ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِى مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾[٢].

وفي الصحيح عن العباس بن عبد المطلب، قال للنبي ﷺ : ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار».

خديجة إلى رحمة الله[٣]:

توفيت أم المؤمنين خديجة الكبرى ﵂ بعد وفاة أبي طالب بنحو شهرين أو ثلاثة –على اختلاف القولين– ولها خمس وستون سنة، ورسول الله ﷺ إذ ذاك في الخمسين من عمره.

إن خديجة كانت من نعم الله الجليلة على رسول الله ﷺ ، بقيت معه ربع قرن، تحن عليه ساعة قلقه، وتؤازره في أحرج أوقاته، وتعينه على إبلاغ رسالته، وتشاركه في مغارم الجهاد المر، وتواسيه بمالها ونفسها.

يقول رسول الله ﷺ : «آمنت بي حين كفر بي الناس، وصدقتني حين كذبني الناس، وأشركتني في مالها حين حرمني الناس، ورزقني الله ولدها، وحرم ولد غيرها».

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا

---

(١) سورة التوبة: الآية (١١٣).
(٢) سورة القصص: الآية (٥٦).
(٣) الرحيق المختوم.

رسول الله هذه خديجة، قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب.

فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابًا فدخل بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله ﷺ يقول لها: «لا تبكي يا بنية، فإن الله مانع أباك».

ثم لم تزل تتوالى عليه المصائب من قومه حتى يئس منهم، فخرج إلى الطائف رجاء أن يستجيبوا لدعوته، أو يؤووه وينصروه على قومه الذين سدوا كل السبل في وجهه في مكة. فآذوه أشد الأذى، ونالوا منه ما لم ينله قومه، وكان ﷺ يقول: «ما نالت مني قريش شيئًا أكرهه حتى مات أبو طالب».

وكما اشتدت وطأة أهل مكة على النبي ﷺ اشتدت على أصحابه، وحتى التجأ رفيقه أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى الهجرة عن مكة، فخرج حتى بلغ برك الغماد يريد الحبشة، فأرجعه ابن الدَّغِنَة في جواره.

وقد كان (أبو بكر الصديق) رضي الله عنه حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ما رأى، استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فأذن له، فخرج حتى إذا سار من مكة يومًا أو يومين، لقيه (ابن الدّغنَة أخو بني الحارث بن عبد مناف بن كنانة)،

وهو يومئذ سيد الأحابيش، فقال: إلى أين يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي وآذوني وضيقوا عليّ، قال: ولم؟ فوالله إنك لتزين العشيرة، وتعين على النوائب، وتفعل المعروف، وتكسب المعدوم، ارجع فأنت في جواري، فرجع معه، حتى إذا دخل مكة، قام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش: إني قد أجرت ابن أبي قحافة، فلا يعرضن له أحد إلا بخير.

وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني جمح فكان يصلي فيه، وكان رجلاً رقيقًا، إذا قرأ القرآن استبكى، فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته.

فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة، فقالوا له: يابن الدغنة، إنك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا! إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق ويبكي، فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفتنا أن يفتنهم، فأته فمره أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء، فمشى ابن الدغنة إليه فقال له: يا أبا بكر، إني لم أجرك لتؤذي قومك، إنهم قد كرهوا مكانك الذي أنت فيه، وتأذوا بذلك منك، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت، قال: أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله؟ قال: فأردد عليّ جواري، قال: رددته عليك.

فقام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش، إن ابن أبي قحافة قد رد عليّ جواري فشأنكم بصاحبكم، فلقيه سفيه من سفهاء قريش، وهو عامد إلى الكعبة، فحثا على رأسه التراب، فمر بأبي بكر الوليد بن المغيرة، أو العاص بن وائل، فقال أبو بكر: ألا ترى إلى ما يصنع هذا السفيه؟ قال: أنت فعلت ذلك بنفسك.

٤- الزواج بسودة

في شوال سنة ١٠ من النبوة، تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة، كانت ممن أسلم قديمًا، وهاجرت الهجرة الثانية إلى الحبشة، وكان زوجها السكران بن عمرو، وكان قد أسلم وهاجر معها، فمات بأرض الحبشة، أو بعد الرجوع إلى مكة، فلما حلت، خطبها رسول الله ﷺ وتزوجها، وكانت أول امرأة تزوجها بعد وفاة خديجة، وبعد عدة أعوام وهبت نوبتها لعائشة.

دعوة الإسلام خارج مكة

الرسول ﷺ في الطائف في شوال سنة عشر من النبوة[١]

ذهب إلى ثقيف (قبيلة بالطائف) تبعد عن مكة نحو ستين ميلاً (الميل = ١٧٦٠ مترًا) أي أكثر من تسعين كيلو متر سارها على قدميه ماشيًا جيئة وذهوبا، ومعه مولاه زيد بن حارثة، وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام، فلم تجب إليه واحدة منهم.

فلما انتهى إلى الطائف، عمد إلى سادة ثقيف وهم إخوة ثلاثة هم: عبد ياليل بن عمرو بن عمير، مسعود، حبيب، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله عز وجل، وأن يؤووه وينصرونه على قومه، ويمنعوه منهم حتى يبلغ رسالة ربه.

فلم ير من يؤوي ولم ير ناصرًا، وآذوه أشد الأذى، ونالوا منه ما لم يَنْل منه قومه، وكان معه (زيد بن حارثة) مولاه، فأقام بينهم عشرة أيام، لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا كلمه، فقالوا اخرج من بلدنا، فقام رسول الله ﷺ من عندهم، وقد يئس من خير ثقيف.

وقد قال لهم: «إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني»، وكره أن يبلغ قومه عنه فيثيرهم ذلك عليه، فلما أراد الخروج، تبعه سفهاؤهم وعبيدهم، يسبونه ووقفوا له صفين، وجعلوا يرمونه بالحجارة وبكلمات من السفه، ورجموا عراقيبه حتى دميت قدماه، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه

---

(١) محمد نبي البر.

شجاج في رأسه.

ولم يزل السفهاء كذلك حتى ألجأوه إلى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه على ثلاثة أميال من الطائف، فلما التجأ إليه رجعوا عنه، فجلس رسول الله ﷺ تحت ظل شجرة من عنب، وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف، وعز عليه، وهو الذي جاءهم بعز الدنيا والآخرة، أن يقابل منهم بهذا الصدود وهذا الإيذاء.

ولكن النفوس الكبيرة لا تعرف اليأس ولا الفشل ولا الغضب، وإن كان هؤلاء القوم قد كذبوه، فقد كذب الرسل من قبله، واحتملوا، ونجحوا في النهاية، وعلت كلمة الله في الأرض وبلغوا رسالاتهم؛ لأن الله كتب ﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ﴾.

فما كان منه ﷺ إلا أن جلس على الأرض ورفع يديه إلى السماء في ضراعة وخشوع وإيمان ويقين، وأمل في الله، وثقة به، ورجاء في رضاه ورحمته، قائلاً: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أو إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحل عليّ غضبك، أو أن ينزل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

فلما رآه ابنا ربيعة، تحركت له رحمهما وأرسلوا له قطفًا من العنب

مع غلام لهما يُقال له عداس، فذهب عداس وقال لرسول الله ﷺ كُل، فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده قال: «باسم الله»، ثم أكل، فقال عداس: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ : «ومن أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟»، قال: نصراني وأنا رجل من نينوي، فقال رسول الله ﷺ : «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟».

قال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ : «ذاك أخي، كان نبيًا وأنا نبي»، فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه.

فلما جاءهم عداس قالا له: ويحك يا عداس! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي، ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي، قالا له: ويحك يا عداس! لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.

ورجع رسول الله ﷺ في طريق مكة كئيبًا حزينًا كسير القلب، فلما بلغ قرن المنازل بعث الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال، يقول[1] رسول الله ﷺ : «فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد استظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك

---

(١) الرحيق المختوم.

الجبال، فسلم عليّ ثم قال: يا محمد، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، أي لفعلت، والأخشبان: هما جبال مكة، قال رسول الله ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئًا».

واطمأن قلب رسول الله ﷺ لأجل هذا النصر الغيبي الذي أمده الله عليه من فوق سبع سماوات، ثم تقدم في طريقه لمكة حتى بلغ وادي نخلة، وأقام فيه أيامًا (حيث فيه الماء والخصب) يصلي من الليل ما شاء، فصرف[١] الله إليه نفرًا من الجن، فاستمعوا قراءته، ولم يشعر بهم رسول الله ﷺ حتى نزل عليه ذكرهم في سورتي الأحقاف والجن، وكان هذا الحدث نصرًا آخر.

ثم إن الآيات التي نزلت بصدد هذا الحدث كانت في طيها بشارات بنجاح دعوة النبي ﷺ فانقشعت سحابة الكآبة والحزن واليأس، وصمم على العود إلى مكة وإبلاغ رسالة الله بنشاط وحماس[٢]، وحينئذ قال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟ فقال له: «إن الله جاعل لما ترى فرجًا ومخرجًا، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه».

وسار الرسول ﷺ حتى دنا من مكة، مكث بحراء، وبعث رجلاً من خزاعة إلى الأخنس بن شريق ليجيره؟ فقال: أنا حليف والحليف لا يجير، فبعث إلى سهيل بن عمرو فقال: إن بني عامر لا تجير على بني كعب،

(١) مختصر سيرة الرسول ﷺ للإمام محمد بن عبد الوهاب.
(٢) الرحيق المختوم.

فبعث إلى المطعم بن عدي فقال: نعم ثم تسلح، ودعا بنيه وقومه، فقال: البسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت، فإني قد أجرت محمدًا.

ثم بعث إلى رسول الله ﷺ : أن أدخل، فدخل رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المطعم بن عدي على راحلته فنادى: يا معشر قريش، إني قد أجرت محمدًا فلا يهجه أحد منكم.

وانتهى رسول الله ﷺ إلى الركن فاستلمه، وصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته، ومطعم بن عدي وولده محدقون به بالسلاح حتى دخل بيته، وقيل: إن أبا جهل سأل مطعمًا، أمجير أنت أم متابع -مسلم-؟ قال: قال بل مجير، فقال: قد أجرنا من أجرت.

وقد حفظ رسول الله ﷺ للمطعم هذا الصنيع، فقال في أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حيًا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له»، وصل رسول الله ﷺ مكة في ذي القعدة سنة عشر من النبوة، وعاد ليستأنف عرض الإسلام على القبائل والأفراد كما كان يدعوهم منذ السنة الرابعة من النبوة.

قريش تحذر من قدم إلى مكة[1]:

١- الطفيل بن عمرو الدوسي:

كان يحدث أنه قدم مكة، ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من

---

(١) محمد نبي البر.

قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفًا شاعرًا لبيبًا، فقالوا له: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا (اشتد أمره)، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه ولا تسمعن منه شيئًا، قال: فوالله مازالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئًا ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفًا (قطن) فرقا (خوفًا) من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه.

قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، قال: فقمت منه قريبًا، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلامًا حسنًا، فقلت في نفسي: واثكل أمي! والله إني رجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسنًا قبلته، وإن كان قبيحًا تركته؟

فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يُسمعني قولك، فسمعته قولاً حسنًا، فأعرض عليّ أمرك.

قال: فعرض عليّ رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا عليَّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمرًا أعدل منه، قال: فأسلمت

وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبي الله، إني امرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عونًا عليهم فيما أدعوهم إليه، فقال رسول الله ﷺ : «اللهم اجعل له آية».

فخرجت إلى قومي، حتى إذا كنت بثنية (فرجة بين جبلين) تطلعني على الحاضر (القوم النازلون في الماء)، وقع نور بين عيني مثل المصباح، فقلت: اللهم في غير وجهي، إني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم، فتحول فوقع في رأس سوطي.

فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق، وأنا أهبط إليهم من الثنية، حتى جئتهم فأصبحت فيهم، قال: فلما نزلت أتاني أبي، وكان شيخًا كبيرًا، فقلت: إليك عني يا أبت، فلستُ منك ولست مني! قال: ولمَ يا بني؟ قلت: أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ ، قال: أي بني، فديني دينك.

فقلت: فاذهب واغتسل وطهر ثيابك، ثم تعالى حتى أعلمك ما علمت، فذهب فاغتسل، وطهر ثيابه، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم، ثم أتتني صاحبتي، فقلت: إليكِ عني، فلست منك ولست مني، قالت: لم بأبي أنت وأمي؟ قلت: قد فرق بيني وبينك الإسلام وتابعت دين محمد ﷺ ، قالت: فديني دينك، قلت: فاذهبي إلى حمى ذي الشرى (صنمًا لدوس) فتطهري منه فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام، فأسلمت.

ثم دعوت دوسًا إلى الإسلام فأبطئوا عليّ، ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة فقلت له: يا نبي الله، إنه قد غلبني على دوس اللهو، فادع الله عليهم، فقال: «اللهم اهد دوسًا! ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم»، فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام، حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ومضى بدر وأحد والخندق، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي، ورسول الله ﷺ بخيبر، حتى نزلت إلى المدينة بسبعين أو ثمانين بيتًا من دوس، ثم لحقنا برسول الله ﷺ بخبير، فأسهم لنا مع المسلمين.

ثم لم أزل مع رسول الله ﷺ حتى إذا فتح الله علينا مكة، فقلت: يا رسول الله، ابعثني إلى ذي الكفين -صنم عمرو بن حممة- حتى أحرقه، فخرج إليه، فجعل الطفيل يوقد عليه النار ويقول: يا ذا الكفين لست من عبادكا، ميلادنا أقدم من ميلادكا، إني حشوت النار في فؤادكا، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فكان معه بالمدينة حتى قبض الله رسول الله ﷺ .

فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين، فسار معهم حتى فرغوا من طليحة، ومن أرض نجد كلها، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل، فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة، فقال لأصحابه: إني قد رأيت رؤيا فأعبروها لي: رأيت أن رأسي قد حلق وإنه خرج من فمي طائر، وأنه لقيتني امرأة فأدخلتني في فرجها، وأرى ابني يطلبني حثيثًا، ثم رأيته حبس عني، قالوا: خيرًا، قال: أما أنا والله فقد أولتها، قالوا: ماذا؟

قال: أما حلق رأسي فوضعه، وأما الطائر فروحي، وأما المرأة فالأرض

تحفر لي فأغيب فيها، وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني، فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني. فقتل رحمه الله شهيدًا باليمامة وجرح ابنه جراحًا شديدة ثم شفي منها، ثم قتل عام اليرموك في زمن عمر ﷺ شهيدًا.

٢- أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكان بن صعب بن علي بن بكر بن وائل:

خرج إلى رسول الله ﷺ يريد الإسلام، فقال شعرًا يمدح فيه رسول الله ﷺ ، فلما كان بمكة أو قريبًا منها، اعترضه بعض المشركين من قريش، فسأله عن أمره، فأخبره أنه جاء ليسلم، فقال له: يا أبا بصير إنه يحرم الزنا، فقال الأعشى: والله إن ذلك لأمر ما لي فيه من أرب، فقال له: إنه يحرم الخمر، فقال الأعشى: أما هذه فوالله إن في النفس منها لعلالات، ولكني منصرف فأتروى منها عامي هذا ثم آتيه فأسلم، فانصرف فمات في عامه ذلك ولم يعد إلى رسول الله ﷺ .

٣- الأراشي صاحب الإبل:

وقدم رجل من أراش بإبل له مكة، فابتاعها منه أبو جهل، فماطله بأثمانها، فأقبل الأراشي حتى وقف على ناد من قريش، ورسول الله ﷺ في ناحية المسجد جالس، فقال: يا معشر قريش، من رجل يعينني على أبي الحكم بن هشام، فإني رجل غريب، ابن سبيل، وقد غلبني على حقي؟

فقال له أهل ذلك المجلس: أترى ذلك الرجل الجالس، لرسول الله ﷺ ، وهم يهزءون به لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة، إذهب إليه فإنه يعينك عليه، فأقبل الأراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال:

يا عبد الله، إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي قبله، وأنا رجل غريب ابن سبيل، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يعينني عليه، يأخذ لي حقي منه، فأشاروا لي إليك، فخذ لي حقي منه، يرحمك الله.

قال: انطلق إليه، وقام معه رسول الله ﷺ فلما رأوه قام معه، قالوا لرجل ممن معهم: أتبعه فانظر ماذا يصنع..؟ وخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه فضرب عليه بابه، فقال: من هذا؟ قال: «محمد، فاخرج إليّ»، فخرج إليه، وما في وجهه من رائحة، قد انتقع لونه، فقال: أعط هذا الرجل حقه، قال: نعم، لا تبرح حتى أعطيه الذي له، فدخل، فخرج إليه بحقه، فدفعه إليه، ثم انصرف رسول الله ﷺ وقال للأراشي: «الحق بشأنك».

فأقبل الأراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال: جزاه الله خيرًا، فقد والله أخذ لي حقي، وجاء الرجل الذي بعثوا معه، فقالوا: ويحك! ماذا رأيت؟ قال: عجبًا من العجب، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه، فخرج إليه وما معه روحه، فقال له: إعط هذا حقه، فقال: نعم، لا تبرح حتى أخرج إليه حقه، فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه إيها، ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء، فقالوا: ويلك! مالك؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قط!

قال: ويحكم! والله ما هو إلا أن ضرب عليّ بابي، وسمعت صوته فملئت رعبًا، ثم خرجت إليه، وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا أنيابه لفحل قط، والله لو أبيت لأكلني.

٤- رُكانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب:

كان أشد قريش، فخلا يومًا برسول الله ﷺ في بعض شباب مكة، فقال له رسول الله ﷺ : «يا ركانة، ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه؟ قال: إني لو أعلم أن الذي تقول حق لاتبعتك، فقال له رسول الله ﷺ : «أفرأيت إن صرعتك، أتعلم أن ما أقول حق؟» قال: نعم، قال: فقم حتى أصارعك، فقام إليه رُكانة يصارعه، فلما بطش به رسول الله ﷺ أضجعه، وهو لا يملك من نفسه شيئًا، ثم قال: عد يا محمد، فعاد فصرعه، فقال: يا محمد، والله إن هذا للعجب، أتصرعني؟ فقال رسول الله ﷺ : «وأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه، إن اتقيت الله واتبعت أمري؟ قال: ما هو؟ قال: «أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني»، قال: ادعها، فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ .

قال: فقال لها ارجعي إلى مكانك، فرجعت إلى مكانها، فذهب ركانة إلى قومه فقال: يا بني عبد مناف، ساحروا بصاحبكم أهل الأرض، فوالله ما رأيت أسحر منه قط، ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع.

٥- وفد نصارى الحبشة:

ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة، عشرون رجلاً –أو قريب من ذلك– من النصارى، حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عمَا أرادوا، دعاهم رسول ﷺ إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله، وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في

كتابهم من أمره.

فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش، فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم، وصدقتموه بما قال! ما نعلم ركبًا أحمق منكم! فقالوا لهم: سلام عليكم، لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيرًا.

بعد قدوم رسول الله ﷺ من الطائف إلى مكة في ذي القعدة سنة عشر من النبوة، رجع وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه، إلا قليلاً مستضعفين ممن آمن به، فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم إذا كانت، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين لهم ما بعثه الله به.

١- يحدث ابن عباس فيقول: إني لغلام شاب مع أبي بمنى (يقال إنه كان عمره ثلاث سنوات)، ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول: يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي، وتصدقوا بي وتمنعوني، حتى أبين عن الله ما بعثني به.

قال: وخلفه رجل أحول وضيء، له غديرتان وعليه حلة عدنية، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه، قال ذلك الرجل: يا بني فلان، إن هذا يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم، وحلفاءكم من

الجن من بني مالك بن أقيش، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه ولا تسمعوا له، قال: فقلت لأبي: يا أبت، من هذا الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول؟ قال: هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب (أبو لهب).

٢- بني عامر بن صعصعة:

أتى رسول الله ﷺ بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله عن من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء»، فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك، فأبوا عليه.

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم، قد كانت أدركته السن، حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم، فكانوا إلى رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم، فلما قدموا عليه ذلك العام، سألهم عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتى من قريش، من بني عبد المطلب يزعم أنه نبي، يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا.

قال: فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال: يا بني عامر هل لها من تلاف؟ والذي نفسي بيده، ما تقولها إسماعيلي قط (أي ما ادعى النبوة كذبًا أحد من بني إسماعيل)، وإنها لحق فأين رأيكم كان عنكم؟

فكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره، كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم، يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ويعرض عليهم نفسه، وما جاء به من الله من الهدى والرحمة، وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من

العرب، له اسم وشرف إلا تصدى له، فدعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده.

٣- إياس بن معاذ:

مع وفد من الأوس قبل حرب بعاث أول سنة ١١ نبوة، وقد قدم أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل، فيهم إياس بن معاذ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، فسمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم، فقال لهم: هل لكم في خير مما جئتم له؟ فقالوا له: وما ذاك؟ قال: أنا رسول الله بعثني الله إلى العباد، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وأنزل عليّ الكتاب، ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، فقال إياس بن معاذ وكان غلامًا حدثًا: أي قوم، هذا والله خير مما جئتم له، فأخذ أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء، فضرب بها وجه إياس بن معاذ وقال: دعنا منك، فلعمري لقد جئنا لغير هذا، فصمت إياس، وقام رسول الله ﷺ عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج.

ثم لم يلبس إياس بن معاذ أن هلك، فلم يزالوا يسمعونه يهلل الله تعالى ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون أن قد مات مسلمًا، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع عن رسول الله ﷺ ما سمع.

٤- سويد بن صامت:

كان شاعرًا لبيبًا من سكان يثرب، جاء مكة حاجًا أو معتمرًا، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقال: لعل الذي معك مثل الذي معي، فقال

لـه رسـول الله ﷺ : «ومـا الـذي معـك؟»، قـال: حكمـة لقمـان، قـال: «أعرضـها علـيّ»، فعرضـها، فقـال لـه رسـول الله ﷺ : «إن هـذا الكـلام حسن، والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله تعالى عليّ هو هدى ونور»، فتلا عليه القرآن ودعاه إلى الإسلام فأسلم، وقال: إن هذا لقول حسن، فلما قدم المدينة لم يلبث أن قتل يوم بعاث، وكان إسلامه في أوائل سنة ١١ من النبوة(١).

٥- أبو ذر الغفاري:

وكان من سكان نواحي يثرب، ولما بلغ إلى يثرب خبر مبعث النبي ﷺ بـ:

١- إياس بن معاذ. ٢- سويد بن صامت.

وقع في أذن أبي ذر أيضًا، وصار سببًا لإسلامه.

روى البخاري عن ابن عباس، قال أبو ذر: كنت رجلاً من غفار، فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة يزعم أنه نبي، فقلت لأخي: انطلق إلى هذا الرجل وكلمه وآتني بخبره، فانطلق فلقيه ثم رجع، فقلت: ما عندك؟ فقال: والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير، وينهى عن الشر، فقلت له: لم تشفني من الخبر، فأخذت جرابًا وعصا، ثم أقبلت إلى مكة، فجعلت لا أعرفه، وأكره أن أسأل عنه، وأشرب من ماء زمزم وأكون في المسجد.

قال: فمرّ بي (علي) فقال: كأن الرجل غريب؟ قال: قلت نعم،

---

(١) الرحيق المختوم.

فقال: فانطلق إلى المنزل، فانطلقت معه لا يسألني عن شيء ولا أسأله ولا أخبره.

فلما أصبحت غدوت إلى المسجد، لا أسأل عنه، وليس أحد يخبرني عنه بشيء، قال: فانطلق معي، قال: فقال ما أمرك؟ وما أقدمك إلى هذه البلدة؟ قال: قلت له إن كتمت عليّ أخبرتك، قال: فإني أفعل، قال: قلت له بلغنا أنه قد خرج ههنا رجل يزعم أنه نبي الله، فأرسلت أخي يكلمه، فرجع ولم يشفني من الخبر، فأردت أن ألقاه.

فقال له: أما إنك قد رشدت، هذا وجهي إليه، أُدخل حيث أَدخل، فإني إن رأيت أحدًا أخافه عليك قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي، وأمضي أنت فمضى، ومضيت معه حتى دخل، ودخلت معه على النبي ﷺ ، فقلت له: أعرض عليّ الإسلام، فعرض فأسلمت مكاني، فقال لي: «يا أبا ذر، أكتم هذا الأمر وارجع إلى بلدك، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل».

فقلت: والذي بعثك بالحق لأصرخن بها بين أظهرهم، فجئت إلى المسجد وقريش فيه، فقلت: يا معشر قريش، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ، فقاموا فضربت لأموت، فأدركني العباس فأكب عليّ، ثم أقبل عليهم فقال: ويلكم تقتلون رجلاً من غفار؟ ومتجركم وممركم على غفار، فأقلعوا عني، فلما أن أصبحت الغد رجعت، فقلت مثل ما قلت بالأمس.

قالوا: قوموا إلى هذا الصابئ، فصنع بي ما صنع بالأمس، فأدركني

العباس، فأكب عليّ وقال مثل مقالته بالأمس.

٦- ضماد الأزدي:

كان من أزد شنوءة من اليمن، وكان يرقى من هذا الريح، قدم مكة فسمع سفهاءها يقولون: إن محمدًا مجنون، فقال: لو أني أتيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي، فلقيه فقال: يا محمد، إني أرقي من هذا الريح، فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ : «إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله».

أما بعد،،،

فقال: أعد عليّ كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فقال: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن قاموس البحر، هات يدك أبايعك على الإسلام، فبايعه (رواه مسلم).

في شوال سنة ١١ نبوة تزوج رسول الله ﷺ عائشة وهي بنت ست سنين وبنى بها بالمدينة في شوال سنة ١هـ وهي بنت تسع سنين.

٧- ست نسمات طيبة من أهل يثرب:

كان رسول الله ﷺ يوافي الموسم كل عام فيتتبع الحجاج في منازلهم ، وفي عكاظ وغيرها فيخرج إلى القبائل في ظلام الليل، حتى لا يحول بينه وبينهم أحد من أهل مكة المشركين، يدعو الحجاج إلى الله فلم يجبه منهم أحد ولم يؤووه ... فلما أراد الله ﷻ إظهار دينه وإعزاز نبيه ﷺ وإنجاز موعده له،خرج في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار عند العقبة ، أراد الله بهم خيرا ، وكان ذلك في موسم الحج من سنة ١١ من

النبوة ، حيث وجدت الدعوة الإسلامية تلك البذور الصالحة ، فمر ﷺ (بعقبة منى)، فسمع أصوات رجال يتكلمون فعمد إليهم حتى لحقهم، وكانوا ستة نفر من شباب يثرب، كلهم من الخزرج، وكان من سعادة أهل يثرب أنهم كانوا يسمعون من يهود المدينة، أن نبيًا من الأنبياء مبعوث في هذا الزمان، سيخرج فنتبعه، ونقتلكم معه قتل عاد وإرم (عاد: قوم هود – أهل مدينة إرم العجيبة ذات الأبنية الشامخة المرفوعة على أعمدة عالية)

فلما لحقهم رسول الله ﷺ قال لهم: «من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج، قال: من موالي اليهود؟ أي حلفائهم، قالوا: نعم، قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه، فشرح لهم حقيقة الإسلام، ودعوته ودعاهم إلى الله عز وجل، وتلا عليهم القرآن.

فقال بعضهم لبعض: تعلمون والله يا قوم، إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأسرعوا إلى إجابة دعوته وأسلموا، وكانوا من عقلاء يثرب، أنهكتهم الحرب الأهلية التي مضت من قريب، والتي لا يزال لهيبها مستعرًا، فأملوا أن تكون دعوته سببًا لوضع الحرب، فقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك.

ولما رجع هؤلاء إلى المدينة حملوا إليها رسالة الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلى وفيها ذكر رسول الله ﷺ .

وكان يسكن يثرب: الأوس والخزرج (وهم الذين هاجر أجدادهم إليها من اليمن)، وبعض قبائل اليهود، (ولم تكن العلاقات ودية بينهم وبين عرب يثرب)، لما عُرف عن اليهود من الجشع والاستغلال وسوء الطبع والتعامل بالربا.

وكان اليهود يفخرون على عرب يثرب بأنهم أهل ديانة سماوية، والعرب وثنيون يعبدون الأصنام، وكان هؤلاء يستاءون من ذلك، ولكنهم لم يدخلوا في دين اليهود لأنهم يكرهونهم من ناحية، ومن ناحية أخرى فاليهود يعتبرون ديانتهم خاصة بهم؛ لأنهم شعب الله المختار، وديانتهم امتياز لهم من الله على سائر خلقه، فلا ينبغي أن يشاركهم غيرهم فيها، فهي ديانة مغلقة، ولم يحاولوا نشرها بين العرب، وكانوا يعلمون من خلال دراستهم لكتبهم المقدسة أن نبيًا سوف يظهر عما قريب، وكانوا يستفتحون على عرب يثرب بظهوره، ويتوعدونهم قائلين: إن نبيًا سوف يظهر وقد أظل زمانه، وسوف نقاتلكم معه، وهذا يعني أن أهل يثرب كانت لديهم فكرة عن ظهور النبي، وظلوا مترقبين ظهوره، لعله يفسح لهم في دينه مكانًا، ويصبح لهم دين سماوي كما لليهود دين سماوي.

كانت هذه حال عرب يثرب عندما ذهب وفد منهم إلى مكة في موسم الحج واجتمع بهم النبي ﷺ، وحدثهم عن نفسه وعن رسالته وما تحمله من خير وعدل.

فما إن سمع القوم هذا الكلام حتى نظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: لعل هذا هو النبي الذي حدثتكم عنه يهود، فلا يسبقنكم إليه.

وبعد أن عادوا إلى بلدهم، حدثوا قومهم بما سمعوه، واتصلت أخبار النبي ﷺ ورسالته بأهل يثرب، ليس معنى هذا أن أهل يثرب لم يسمعوا بدعوة النبي ﷺ قبل هذا اللقاء، فقد كان العرب جميعًا في كل شبه الجزيرة العربية على علم بها، ولكن كان هذا أول لقاء مباشر بينهم وبين النبي ﷺ سنة ١١ من النبوة.

وأخذ الناس في يثرب يتحدثون عن النبي ﷺ ويتشاورون:

١- في أمره.

٢- وفيما كانت تحدثهم عنه اليهود عن قرب ظهور نبي في العرب.

حتى جاء العام التالي ذهب وفد آخر وعقدوا مع النبي ﷺ عند العقبة بمنى بيعة العقبة الأولى في موسم الحج سنة ١٢ من النبوة.

وكان الستة الأولون قد قالوا له -لما أسلموا-: إن بين قومنا من العداوة والشر ما بينهم، وعسى الله أن يجمعهم بك، وسندعوهم إلى أمرك، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك.

وكان الأوس والخزرج أخوان لأم وأب، أصلهم من اليمن من سبأ، وأمهم قَيْلَةَ بنت كاهل -امرأة من قضاعة- ويقال لهم لذلك: أبناء قيلة، فوقعت بينهم العداوة بسبب قتيل، فلبثت الحرب بينهم مائة وعشرين سنة إلى أن أطفأها الله بالإسلام.

قصة معجزة رحلة الإسراء والمعراج

قبل الهجرة[١]

في هذا الجو الذي بدا قاتمًا بعد موت خديجة ﵂ وأبي طالب، وبعد ما لقيه الرسول ﷺ من القبائل التي عرض نفسه عليها، ومع إصرار قريش على مواقفها وعنادها وكفرها بالله ورسوله، أراد الله تعالى أن يسري على نبيه ﷺ ، وأن يعلمه بطريقة عملية ألا يهتم بهؤلاء جميعًا، فما قريش، وما مكة، وما العرب جميعًا أمام عظمة الله وقدرته، وماذا يكون هؤلاء في ملكوت الله الواسع الرحيب؟

أراد الله أن يأخذ نبيه ﷺ إلى رحلة روحانية يطلعه فيها على عوالم وأكوان لا تخطر على بال بشر، ليريه من آياته الكبرى، ويشرح صدره، ويعلي في العالمين ذكره، فكانت رحلة الإسراء والمعراج وكانت بالروح والجسد معًا، وهذا هو سر الإعجاز في القصة، أما إذا قيل أنها كانت بالروح فقط فلا غرابة في الأمر ولا إعجاز؛ لأن الإنسان العادي يرى كثيرًا في منامه، رؤى غريبة وأشياء يستحيل أن يراها في اليقظة، فهي فتنة وابتلاء من الله تعالى للمسلمين.

فهي معجزة إلهية لنبيه ﷺ ، والمعجزة لا تخضع لمقاييس العقل والمنطق؛ لأنها أمر خارق للعادة يظهر على أيدي الأنبياء، فكانت بمثابة غربال للمسلمين، فقد هزت يقين من ضعف إيمانه من المسلمين، إلا أن النبي ﷺ ظل على يقينه في نصرة الله له، ولم تضعف عزيمته بل واجه

---

(١) تاريخ الإسلام، د. عبد الشافي محمد عبد اللطيف.

الموقف بعد الإسراء في شجاعة وإصرار كما كان دائمًا.

ملخص حادث الإسراء والمعراج:

كما روته كتب السيرة والحديث: أن رسول الله ﷺ كان في تلك الليلة في بيت أم هانئ بنت عمه أبي طالب، وفي أثناء الليل جاء جبريل ومعه البراق وأخذه إلى بيت المقدس في فلسطين، حيث كان في استقباله هناك جمع من الأنبياء فيهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، فصلى النبي ﷺ بهم إمامًا ركعتين، وبعد أن احتفلوا به صعد إلى السموات والتقى بإخوانه الأنبياء كل في مكانه، فالتقى بـ:

١- آدم. ٢- وعيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا.

٣- ويوسف. ٤- وإدريس. ٥- وهارون.

٦- وموسى. ٧- وإبراهيم.

وفي كل سماء يستفتح له جبريل فيفتح له، والجميع سلم على المصطفى ﷺ ورحب به وأقر بنبوته، ثم ارتقى فوق السماوات العلى حيث رأى من آيات ربه الكبرى، فقد رُفع إلى سدرة المنتهى، فرأى هناك جبريل في صورته، له ستمائة جناح ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[1].

ثم عرج به إلى الجبار جل جلاله وكلمه ربه وفرض عليه وعلى أمته الصلاة وكانت خمسين، ولكن ﷺ لم يزل يتردد بين موسى وبين الله عز وجل يسأله التخفيف حتى جعلها خمسًا، ورأى في هذه الرحلة، الجنة وما

(١) سورة النجم: الآيتان (١٣، ١٤).

فيها من نعيم مقيم وحور عين أعدت للمتقين، ورأى النار وما فيها من جحيم وسعير أُعدت للكافرين.

ما رآه الرسول ﷺ ضمن هذه الرحلة(١):

١- عُرض عليه اللبن والخمر، فاختار اللبن، فقيل: هُديت الفطرة، أما أنك لو أخذت الخمر لغوت أمتك.

٢- رأى أربعة أنهار في الجنة: نهران ظاهران، نهران باطنان، والظاهران هما النيل والفرات، ومعنى ذلك أن رسالته ستتوطن الأودية الخصبة في النيل والفرات، وسيكون أهلها حملة الإسلام جيلاً بعد جيل، ليس معناه أن مياه النهرين تنبع من الجنة.

٣- رأى مالك خازن النار: وهو لا يضحك وليس على وجهه بشر وبشاشة.

٤- رأى الجنة والنار.

٥- رأى أكلة أموال اليتامى ظلمًا لهم مشافر كمشافر الإبل يقذفون في أفواههم قطعًا من النار كالأفهار، فتخرج من أدبارهم.

٦- رأى أكلة الربا، لهم بطون كبيرة، لا يقدرون لأجلها أن يتحولوا عن مكانها، ويمر بهم آل فرعون حين يعرضون على النار فيطأونهم.

٧- رأى الزناة بين أيديهم لحم سمين طيب إلى جنبه لحم غث منتن، يأكلون من الغث المنتن، ويتركون الطيب الثمين.

(١) الرحيق المختوم.

٨- رأى النساء اللاتي يدخلن على الرجال من ليس من أولادهم رآهن معلقات بثديهن.

٩- رأى عيرًا من أهل مكة في الإياب والذهاب، وقد دلهم على بعير ند لهم، وشرب ماءهم من إناء مغطى وهم نائمون، ثم ترك الإناء مغطى، وقد صار ذلك دليلاً على صدق دعواه في صباح ليلة الإسراء، وعاد من رحلته في الليلة ذاتها[١].

فلما أصبح وأخبر قومه كذبوه، وهرولوا إلى أبي بكر وقالو له إن صاحبك يقول: إنه أسرى به من مكة إلى بيت المقدس وعاد إلى مكة في ليلة واحدة، وهم يعلمون أن العير كانت تطرد شهرًا ذهابًا وشهرًا إيابًا بين مكة وفلسطين، هذا فضلاً عن أن النبي ﷺ قص عليهم قصة المعراج وهي أغرب من أمر الإسراء!!

فقال أبو بكر على الفور: إن كان قال ذلك فقد صدق؛ لأنه يخبرني أن الخبر يأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، وهذا أبعد مما تعجبون منه، وسمع النبي ﷺ أن أبا بكر صدقه حتى قبل أن يسمع منه فلقبه بالصديق.

واشتد تكذيبهم للرسول ﷺ وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس، فجلاه الله له حتى عاينه، وجعل يخبرهم به، ولا يستطيعون أن يردوا عليه شيئًا، وأخبرهم عن عيرهم في مسراه ورجوعه، وعن وقت قدومها ومن

---

(١) تاريخ الإسلام.

البعير الذي يقدمها، وكان الأمر كما قال، فلم يزيدهم ذلك إلا نفورًا وأبى الظالمون إلا كفورًا.

تعليل هذه الرحلة(١):

وأوجز وأعظم ما ورد في تعليل هذه الرحلة هو قوله تعالى: ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَـٰتِنَآ ﴾(٢)، وهذه سنة الله في الأنبياء، قال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾(٣)، وقال لموسى: ﴿ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَـٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴾(٤).

فبعد استناد علوم الأنبياء إلى رؤية الآيات يحصل لهم من عين اليقين ما لا يقادر قدره، وليس الخبر كالمعاينة:

١- فيتحملون في سبيل الله ما لا يتحمل غيرهم.

٢- وتصير جميع قوات الدنيا عندهم كجناح بعوضة لا يعبأون بها إذا ما تدول عليهم بالمحن والعذاب.

من سورة الإسراء:

ذكر الله قصة الإسراء في آية واحدة فقط، ثم أخذ في ذكر فضائح اليهود وجرائمهم، ثم نبههم بأن ﴿ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِى لِلَّتِى هِىَ أَقۡوَمُ ﴾، فإن الله تعالى يشير بهذا الأسلوب إلى:

---

(١) الرحيق المختوم.
(٢) سورة الإسراء: الآية (١).
(٣) سورة الأنعام: الآية (٧٥).
(٤) سورة طه: الآية (٢٣).

١- أن الإسراء إنما وقع إلى بيت المقدس؛ لأن اليهود سيعزلون عن منصب قيادة الأمة الإنسانية، لما ارتكبوا من الجرائم التي لم يبق معها مجال لبقائهم على هذا المنصب.

٢- وأن الله تعالى سينقل هذا المنصب فعلاً إلى رسوله ﷺ .

٣- ويجمع له مركزي الدعوة الإبراهيمية كليهما.

فقد آن الأوان لانتقال القيادة الروحية من أمة إلى أمة، من أمة ملأت تاريخها بالغدر والخيانة والإثم والعدوان، إلى أمة تتدفق بالبر والخيرات، ولا يزال رسولها يتمتع بوحي القرآن الكريم الذي ﴿يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾.

ولكن كيف تنتقل هذه القيادة؟ والرسول ﷺ في هذه الآونة، يطوف في جبال مكة مطرودًا بين الناس.

هذا السؤال يكشف الغطاء عن حقيقة أخرى، وهي أن دورًا من هذه الدعوة الإسلامية قد أوشك إلى النهاية والتمام، وسيبدأ دور آخر يختلف عن الأول في مجراه؛ ولذلك نرى بعض الآيات تشتمل على إنذار ووعيد للمشركين.

ونرى آيات أخرى بجانبها تبين للمسلمين قواعد الحضارة وبنودها ومبادئها التي يبتنى عليها مجتمعهم الإسلامي، كأنهم قد أووا إلى الأرض، تملكوا فيها أمورهم من جميع النواحي، وكونوا وحدة متماسكة تدور عليها رحى المجتمع.

ففيه إشارة إلى أن رسول الله ﷺ سيجد ملجأً ومأمنًا يستقر فيه أمره، ويصير مركزًا لبث دعوته في أرجاء الدنيا.

ولأجل هذه الحكمة وأمثالها نرى أن الإسراء إنما وقع:

- إما قبيل بيعة العقبة الأولى.

- أو بين العقبتين والله أعلم.

بيعة العقبة الأولى
في موسم الحج سنة ١٢ من النبوة
(١٢ رجل من الأنصار)

بعد أن وصلت أخباره ﷺ إلى يثرب، استشرفت نفوسهم إلى سماع المزيد عنه، فوفد منهم في موسم الحج التالي إثنا عشر رجلاً إلى مكة، والتقوا به، وعرفوه أن أخباره بلغتهم، وأنهم يرغبون في سماع المزيد عن هذا الدين الذي يدعو إليه.

فشرح لهم الرسول ﷺ مضمون رسالته ودعوته إلى التوحيد الخالص لله وحده، وسره أن وجد لديهم استجابة لسماعه والإيمان به، فبايعوه بيعة النساء، أي وفق بيعتهن التي نزلت عند فتح مكة، فبايعوه على أن يؤمنوا بالله وحد ولا يشركوا معه أحدًا وألا يسرقوا ولا يزنوا ولا يعصوا الله في معروف.

وبايعهم على أن من وفى منهم بذلك فجزاؤه الجنة، ومن خالف عن شيء من ذلك فأمره إلى الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، وبعد أن تمت البيعة وانتهى الموسم، بعث النبي ﷺ معهم أول سفير للإسلام وهو مصعب بن عمير، ليعلمهم القرآن ويفقههم في الدين.

كان هذا اللقاء مع وفد يثرب بداية الأمل في النصر بالنسبة للنبي ﷺ ، حيث فتحت هذه أمامه آفاقًا واسعة، فإذا كانت مكة قد رفضت الإيمان بالله ورسوله ﷺ ، فهاهي يثرب تبعث إليه بأهلها وتفتح له ذراعيها، ويثرب لم تكن مجهولة للنبي ﷺ ففيها أخوال جده عبد المطلب، وقد

زارها وهو طفل لزيارة قبر أبيه عبد الله في صحبة أمه.

سفير الإسلام في المدينة[١]:

نزل مصعب بن عمير على أبي أمامة –أسعد بن زرارة– وكان مصعب يُعرف بالمقرئ، ومن أروع ما يروى عن نجاحه في الدعوة، أن أسعد بن زرارة، ومصعب بن عمير أخذا يبثان الإسلام في أهل يثرب بجد وحماس.

وقد خرجا يومًا يريدا دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر فقد خلا في حائط من حوائط بني ظفر، وجلسا على بئر فيها واجتمع إليهما رجال من المسلمين.

إسلام سعد بن معاذ، وأُسيد بن حضير[٢]:

وكان سيدا قومهما من بني عبد الأشهل وكانا على الشرك، فقال سعد بن معاذ (سيد الأوس) لأُسيد بن حضير: اذهب إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا ليسفها ضعفاءنا فأزجرهما فإن أسعد بن زرارة ابن خالتي، ولولا ذلك لكفيتك ذلك.

فأخذ أسيد حربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة، قال لمصعب: هذا سيد قومه قد جاءك، فأصدق الله فيه، قال مصعب: إن يكلمني أكلمه.

فوقف عليهما متشتمًا؛ فقال: ما جاء بكما إلينا؟ تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أوتجلس فتسمع

---

(١) الرحيق المختوم.

(٢) مختصر سيرة الرسول ﷺ ، لمحمد بن عبد الوهاب.

فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره، فقال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس، فكلمه مصعب بالإسلام وتلا عليه القرآن.

قالا: فوالله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتهلله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له: تغتسل وتطهر ثوبك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين.

فقام واغتسل، وطهر ثوبه، وتشهد وصلى ركعتين ثم قال: إنه من ورائي رجلاً إن تبعكما لم يتخلف أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن –سعد بن معاذ–، ثم أخذ حربته وانصرف إلى قومه وهم جلوس في ناديهم.

فقال سعد: أحلف بالله، لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي، قال له سعد: ما فعلت؟ فقال: كلمت الرجلين، فوالله ما أريت بهما بأسًا، وفد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت.

وقد حُدِّثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك، ليخفروك، فقام سعد مغضبًا للذي ذكر له، فأخذ حربته، فلما رآهما مطمئنين عرف أن أُسيدًا إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتمًا، ثم قال لأسعد بن زرارة: والله يا أبا أمامة، لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، تغشانا في دارنا بما نكره؟ وقد كان أسعد قال لمصعب: جاءك والله سيد قومه، إن يتبعك لم يتخلف منهم عنك أحدًا.

فقال له مصعب: أوتقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته

عزلنا عنك ما تكره، قال: أنصفت، ثم ركز حربته فجلس.

فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن، قال: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتهلله، ثم قال: كيف تصنعون إذا أسلمتم؟ قالا: تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، ففعل ذلك، ثم أخذ حربته، فأقبل إلى نادي قومه، فلما رأوه قالوا: نحلف بالله لقد رجع بغير الوجه الذي ذهب به، فقال: يا بني عبد الأشهل، كيف أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا، وابن سيدنا، وأفضلنا رأيًا، وأيمننا نقيبة.

قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، فما أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلا أسلموا، إلا الأصيرم فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أُحد فأسلم وقاتل وقُتل، ولم يسجد لله سجدة، فقال النبي ﷺ: «عَمِلَ قليلاً وأُجِرَ كثيرًا».

فأقام (مصعب) في منزل (أسعد) يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف، وذلك أنهم كان فيهم قيس بن الأسلت الشاعر، وكانوا يطيعونه فوقف بهم عن الإسلام حتى كان عام الخندق سنة خمسة من الهجرة.

وقبل حلول موسم الحج التالي -أي حج السنة الثالثة عشر-(١)، عاد

(١) الرحيق المختوم.

مصعب بن عمير إلى مكة، يحمل إلى رسول الله ﷺ بشائر الفوز، ويقص عليه خبر قبائل يثرب، وما فيها من مواهب الخير، وما لها من قوة ومنعة.

فلما جاء موسم الحج في السنة الثالثة عشر من النبوة[١]، قال من أسلم من الأنصار: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يُطَرَّد في جبال مكة ويخاف؟! فخرجوا مع مشركي قومهم حجاجًا.

يقول عبد الرحمن بن كعب بن مالك: كنت قائد أبي كعب بن مالك حين ذهب بصره، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الآذان بها صلى على أبي أمامة أسعد بن زرارة، ومكث حينًا على ذلك، لا يسمع الآذان للجمعة إلا صلى عليه واستغفر له.

فقلت في نفسي: والله إن هذا بي لعجز، ألا أسأله ما له إذا سمع الآذان للجمعة صلى على أبي أمامة أسعد بن زرارة، فخرجت به في يوم جمعة كما كنت أخرج، فلما سمع الآذان للجمعة صلى عليه واستغفر له، فقلت له: يا أبت، مالك إذا سمعت الآذان للجمعة صليت على أبي أمامة؟ فقال: أي بني، كان أول من جمع بنا في المدينة، قلت: وكم أنتم يومئذ؟ قال: أربعون رجلاً.

(١) مختصر سيرة الرسول ﷺ لمحمد بن عبد الوهاب.

بيعة العقبة الثانية[١]
في موسم الحج سنة ١٣ من النبوة
(٧٣ رجلاً وامرأتان)

قدم إلى مكة في موسم الحج في السنة الثالثة عشر من النبوة لأداء مناسك الحج ثلاثة وسبعون رجلاً معهم امرأتان، جميعهم من مسلمي يثرب، وقد خرجوا مع حجاج قومهم من أهل الشرك، وكان مصعب قد بشر رسول الله ﷺ بإقبال أهل يثرب على الإسلام وبقدوم عدد كبير منهم إلى مكة في موسم الحج.

لم يكتفي رسول الله ﷺ بدعوة أهل يثرب إلى الإسلام على ما نحو ما فعل مع إخوانهم في العام السابق، بل أراد أن يعقد معهم حلفًا ولا مانع من أن يهاجر إلى بلدهم، إذا توفرت لديهم الاستجابة الكافية لذلك، فلما قدموا مكة جرت بينهم وبين النبي ﷺ اتصالات سرية، أدت إلى اتفاق الفريقين على أن يجتمعوا في أوسط أيام التشريق (بعد أداء الفريضة) في الشعب الذي عند العقبة حيث الجمرة الأولى من منّى، وأن يكون في سرية تامة في ظلام الليل (بعد مضي ثلث الليل)، وكتموا أمرهم عما معهم من مشركي قومهم، واستعد رسول الله ﷺ لهذا اللقاء، وأخبر به عمه العباس، وكان لا يزال مشركًا، ليحضر هذا الاجتماع الخطير ليطمئن على مستقبل ابن أخيه.

---

(١) تاريخ الإسلام، د. محمد عبد الشافي.

يقول كعب بن مالك الأنصاري: فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ، فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث اليل خرجنا نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من نسائنا، نسيبة بنت كعب (أم عمارة) من بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو (أم منيع) من بني سلمة.

وتم اللقاء، ووجد رسول الله ﷺ القوم على أتم استعداد أن يذهبوا معه إلى حيث يريد، ووجد قلوبهم وبلدهم مفتوحة لدعوته ومستعدة لاستقباله.

بداية المحادثة وشرح العباس لخطورة المسئولية[١]:

اجتمع المسلمون في الشعب ينتظرون رسول الله ﷺ حتى جاءهم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وكان أول متكلم لإبرام التحالف الديني والعسكري.

تكلم ليشرح لهم بكل صراحة خطورة المسئولية التي ستُلقى على كواهلهم نتيجة هذا التحالف، وقال[٢]: يا معشر الخزرج –وكانت العرب تسمي الجميع الخزرج– إن محمدًا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، وهو في منعة في بلده، إلا أنه أبى إلا الانقطاع إليكم، واللحوق بكم.

(١) الرحيق المختوم.
(٢) مختصر سيرة الرسول ﷺ لمحمد بن عبد الوهاب.

فإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه –بعد خروجه إليكم– فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة، قالوا: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، وخذ لنفسك ولربك ما شئت، فتكلم رسول الله ﷺ وقال: «أبايعكم على أن تمنعوني –إذا قدمت عليكم– مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم، ولكم الجنة».

١- البراء بن معرور: كان أول من بايعه، فقال والذي بعثك بالحق لنمعنك مما نمنع منه أُزُرنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن أهل الحرب والحلقة[١]، ورثناها كابرًا عن كابر.

٢- أبو الهيثم بن التيهان:

اعترض القول –والبراء يتكلم– فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالا[٢]، وإنا لقاطعوها –يعني اليهود– فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «بل الدم الدم، والهدم الهدم[٣]، أنا منكم، وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم».

وبعد أن تهيأ القوم لإتمام البيعة[٤]، قام رجلان ممن أسلموا في

(١) الحلقة: السلاح.
(٢) حبالاً: عهود ومواثيق.
(٣) حرمتي حرمتكم.
(٤) الرحيق المختوم.

مواسم سنتي (١١، ١٢) من النبوة، قام أحدهما تلو الآخر:

١- ليؤكدا للقوم خطورة المسئولية.

٢- حتى لا يبايعوه إلا على جلية من الأمر.

٣- وليعرفا مدى استعداد القوم للتضحية ويتأكدا من ذلك.

٣- العباس بن عبادة بن نضلة[1]:

قال: يا معشر الخزرج، أتعلمون علام تبايعون هذا الرجل؟ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون إنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن فدعوه، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة، فأجابه القوم جميعًا، إنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف.

فما لنا يا رسول الله إن نحن وفينا بذلك؟ قال النبي ﷺ: «لكم الجنة»، فمدوا إليه أيديهم.

٤- أسعد بن زرارة:

وفي رواية أخرى: فقمنا نبايعه، فأخذ بيده أسعد بن زرارة (وهو أصغر القوم) فقال: رويدًا يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن

(١) تاريخ الإسلام.

نعلم أنه رسول الله، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضَّكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وأما أنتم تخافون من أنفسكم ضيعة فذروه، فهو أعذر لكم عند الله، فقالوا: يا أسعد، أمط عنا يدك، فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها.

وحينئذ عرف أسعد مدى استعداد القوم للتضحية في هذا السبيل وتأكد منه.

عقد البيعة[١]:

وبعد ذلك بدأت البيعة العامة، قال جابر: فقمنا إليه رجلاً رجلاً فأخذ علينا البيعة بالمصافحة، ويعطينا بذلك الجنة، وأما بيعة المرأتين اللتين شهدتا الوقعة، فكانت قولاً، ما صافح رسول الله ﷺ امرأة أجنبية قط.

وتمت بذلك بيعة العقبة الثانية التي تعد من أخطر معاهدات التاريخ الإسلامي كله، حيث مهدت أمام النبي ﷺ الطريق لينشر دعوته، ويبلغ رسالته، ويضع الأساس للدولة والحضارة الإسلامية التي ملأت الدنيا طولاً وعرضًا[٢]. وبعد أن تمت البيعة قال لهم النبي ﷺ : «أخرجوا لي منكم اثنى عشر نقيبًا يكونون على قومهم كفلاء» فاختاروا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس.

ولما تم انتخاب هؤلاء النقباء، أخذ عليهم النبي ﷺ ميثاقًا آخر بصفتهم رؤساء مسئولين، قال لهم: «أنتم على قومكم كفلاء، ككفالة

(١) الرحيق المختوم.
(٢) تاريخ الإسلام.

الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي» -يعني المسلمين- قالوا: نعم (بايعنا على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا، وأن نقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم).

اطمأن النبي ﷺ إلى هؤلاء القوم الذين هيأهم الله لنصرة دينه ونبيه، وسماهم الأنصار وأثنى القرآن الكريم عليهم وزكاهم وزكى عملهم، فهاهو الإسلام أخيرًا، وبعد العناء الذي لقيه الرسول ﷺ وأصحابه في مكة، قد وجد الحصن الآمن والمنطلق الثابت لينشر لواءه في الأرض؛ وليعلم النبي ﷺ قريشًا درسًا قاسيًا على عنادها وجبروتها، بعد البيعة والمصافحة كثر اللغط فقال العباس: على رسلكم فإن علينا عيونًا.

شيطان يكتشف المعاهدة[١]:

ولما تم إبرام المعاهدة، وكان القوم على وشك الانفضاض، اكتشفها أحد الشياطين في اللحظة الأخيرة، فقام على مرتفع من الأرض، وصاح بأنفذ صوت سمع قط: (يا أهل الأخاشب -المنازل- هل لكم في محمد والصباة معه؟ قد اجتمعوا على حربكم).

ورغم أن النبي ﷺ والأنصار قد أحاطوا أمر هذه البيعة بالسرية التامة إلا أن خبرها تسرب إلى قريش، فانزعجت لأنها قدرت خطورة تطور موقف النبي ﷺ بعد تلك البيعة...[٢]، فإن أهل يثرب إذا كانوا قد ارتبطوا معه بحلف دفاعي، وتمكن من الهجرة إلى بلدهم، وأصبح زعيمهم

---

(١) الرحيق المختوم.
(٢) تاريخ الإسلام، د. محمد عبد الشافي.

وقائدهم، فسوف يقودهم ليثأر من قريش تنكيلها به وبأصحابه طوال هذه السنين في مكة، وقد يكون في ذلك القضاء على قريش ومركزها في الجزيرة العربية، أو تذعن للنبي صاغرة ذليلة، وكلا الأمرين مر.

وبعد إعلان الشيطان عن تلك المعاهدة، قال رسول الله ﷺ : «هذا أزب العقبة، أما والله يا عدو الله لأفرغن لك»، ثم قال: «ارفضوا إلى رحالكم».

فقال العباس بن عبادة بن نضلة: والذي بعثك بالحق إن شئت لنميلنَّ على أهل مكة غدًا بأسيافنا فقال: «لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم»، فرجعوا.

فلما أصبحوا غدت جِلّه قريش عليهم، وجاءوهم في منازلهم -أرسلت قريشَ إلى أهل يثرب في خيامهم تستوضح الأمر- فقالوا: يا معشر الخزرج، قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم.

ولما كان مشركوا الخزرج لا يعرفون شيئًا عن البيعة؛ لأنها تمت في سرية تامة، وفي ظلام الليل، انبعث هؤلاء المشركون يحلفون بالله، ما كان من هذا شيء، وما علمناه، أما المسلمون فنظر بعضهم إلى بعض، ثم لاذوا بالصمت، فلم يتحدث أحد منهم بنفي أو إثبات، ومال زعماء قريش إلى تصديق المشركين، فرجعوا خائبين.

وبعدما نفر الحجيج من منى إلى أوطانهم، تأكد لدى زعماء مكة أن

الخبر صحيح، وأن البيعة قد تمت فعلاً، فخرج فرسان قريش في طلب اليثربيين ولكن بعد فوات الأوان، إلا أنهم تمكنوا من رؤية سعد بن عبادة، (والمنذر بن عمرو) فطاردوهما، فأما المنذر فأعجز القوم، وأما سعد بن عبادة فألقوا القبض عليه، فربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحلة، وجعلوا يسحبونه بشعره وكان ذا جمة، ذا شعر كثير، حتى أدخلوه مكة يضربونه.

قال سعد[١]: فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع عليّ نفر من قريش فيهم رجل وضيء أبيض، شعشاع، حلو من الرجال، قال: فقلت في نفسي: إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا، فلما دنا مني رفع يده فلكمني لكمة شديدة، فقلت في نفسي: لا والله ما عندهم بعد هذا من خير.

قال: فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني، إذ أوى لي رجل ممن كان معهم، فقال: ويحك! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد؟ قلت: بلى، والله لقد كنت أُجيرُ لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، تُجاره، وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي، وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

فقال: ويحك! فاهتف باسم الرجلين، وأذكر ما بينك وبينهما، قال: ففعلت، وخرج ذلك الرجل إليهما، فوجدهما في المسجد عند الكعبة، فقال لهما: إن رجلاً من الخزرج الآن يضرب بالأبطح ويهتف بكما، ويذكر أن بنيه وبينكما جوارًا قالا: ومن هو؟ قال: سعد بن عبادة، قالا: صدق

---

(١) محمد نبي البر.

والله إن كان ليجير لنا تجارنا، ويمنعهم أن يظلموا ببلده، فجاءا، فخلصا سعدا من أيديهم، فانطلق.

وتشاورت الأنصار أن يَكِروا إليه، فإذا هو قد طلع عليهم فوصل القوم جميعًا إلى المدينة، فلما قدموا المدينة[١] أظهروا الإسلام بها، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك، منهم (عمرو بن الجموح)، وكان ابنه معاذ شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ ، وكان عمرو بن الجموح سيدًا من سادات بني سلمة، وشريفًا من أشرافهم، وكان قد اتخذ في داره صنمًا من خشب، يقال له: مناه، كما كانت الأشراف يصنعون، تتخذه إلهًا تعظمه وتطهره.

فلما أسلم فتيان من بني سلمة: معاذ بن جبل، معاذ بن عمرو بن الجموح في فتيان منهم ممن أسلم وشهد العقبة.

١- كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك، فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة، وفيها فضلات الناس، منكسًا على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم! من عدا على آلهتنا هذه الليلة؟ ثم يغدو ويلتمسه، حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه، ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزينه.

٢- فإذا أمسى ونام عمرو، عدو عليه ففعلوا به مثل ذلك، فيعدوا فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى، فيغسله ويطهره ويطيبه.

---

(١) محمد نبي البر.

٣- ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك، فلما أكثروا عليه، استخرجه من حيث ألقوه يومًا، فغسله وطهره وطيبه، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه، ثم قال: إني والله ما أعلم من يصنع ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع، فهذا السيف معك.

٤- فلما أمسى ونام عمرو، عدوا عليه، فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلبًا ميتًا فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة، فيها فضلات من فضلات الناس.

ثم غدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به، فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكسًا مقرونًا بكلب ميت، فلما رآه وأبصر شأنه، وكلمه من أسلم من رجال قومه، فأسلم برحمة الله وحسن إسلامه.

الإذن بالقتال[١]:

كان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب، ولم تحلل له الدماء، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله، والصبر على الأذى، والصفح عن الجاهل.

وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم، ونفوهم من بلادهم، فهم بين:

١- مفتون في دينه.

٢- ومعذب في أيديهم.

(١) محمد نبي البر.

٣- وهارب في البلاد فرارًا منهم، منهم من بأرض الحبشة، ومنهم من بالمدينة، وفي كل وجه.

فلما عتت قريش على الله عز وجل، وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة، وكذبوا نبيه ﷺ، وعذبوا ونفوا من عبده ووحده، وصدق نبيه، واعتصم بدينه، أذن الله عز وجل لرسول الله ﷺ في القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم.

فلما أذن الله تعالى له ﷺ في الحرب، ولما بايعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه، وأوى إليهم من المسلمين، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه، ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللحوق بإخوانهم من الأنصار، وقال: إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانًا ودارًا تأمنون بها، فقد أبدى الأنصار استعدادهم الكامل لإيوائهم وإيثارهم على أنفسهم.

والحق أن الأنصار ضربوا أروع الأمثلة على صدق الأخوة في العقيدة، والإيثار على النفس والمال والولد، فأوسعوا لإخوانهم المهاجرين في ديارهم، وأشركوهم في أموالهم، وهونوا عليهم مرارة الاغتراب وترك الأهل والوطن.

واستحق الأنصار على ذلك الثناء العاطر من الله سبحانه ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ

وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[١].

الهجرة إلى المدينة[٢]

(هجرة المسلمين لديار الأنصار):

ولم يكن معنى الهجرة إلا إهدار المصالح والتضحية بالأموال، والنجاة بالشخص فحسب، في الإشعار بأنه مستباح منهوب، قد يهلك في أوائل الطريق، أو نهايتها، وبأنه يسير نحو مستقبل مبهم، لا يدري ما يتمخض عنه من قلاقل وأحزان.

وبدأ المسلمون يهاجرون وهم يعرفون كل ذلك، وأخذ المشركون يحولون بينهم وبين خروجهم، لما كان يحسون من الخطر.

وهناك نماذج من ذلك:

١- أبو سلمة:

كان أول من هاجر إلى المدينة، أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، هاجر قبل بيعة العقبة الثانية، فقد قدم مكة من الحبشة، فلما آذته قريش، وبلغه من أسلم من الأنصار، خرج إلى المدينة مهاجرًا.

وتقول أم سلمة[٣]: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره ثم حملني عليه، وحمل معي ابني سلمة في حجري، ثم خرج بي

(١) سورة الحشر: الآية (٩).
(٢) الرحيق المختوم.
(٣) محمد نبي البر.

يقود بي بعيره، فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتك هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟ فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه، وغضب لذلك بنو عبد الأسد، رهط أبي سلمة، فقالوا: لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة.

ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني، فكنت أخرج كل غداه فأجلس بالأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي، سنة أو قريبًا منها حتى مر بي رجل من بني عمي (أحد بني المغيرة) فرأى ما بي فرحمني، فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة! فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها! فقالوا لي: إلحقي بزوجك إن شئت، ورد بنو عبد الأسد إليّ عند ذلك ابني.

فارتحلت بعيري، ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، وما معي أحد من خلق الله، فقلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ فقلت: أريد زوجي بالمدينة، قال: أو ما معك أحد؟ فقلت: لا والله، إلا الله وبني هذا، قال: والله ما لك من مترك، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوى بي.

فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحط

عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى عني إلى شجرة فاضطجع تحتها.

فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله، ثم استأخر عني وقال: اركبي، فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقاده حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة.

فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك في هذا القرية، وكان أبو سلمة بها نازلاً، فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعًا إلى مكة، فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحبًا قط أكرم من عثمان بن طلحة.

٢- صهيب[١]:

لما أراد الهجرة، قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكًا حقيرًا فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟ والله لا يكون ذلك، فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي، أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم، قال: فإني قد جعلت لكم مالي، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «ربح صهيب، ربح صهيب».

٣- عمر بن الخطاب، وعياش بن أبي ربيعة، هشام بن العاص بن وائل:

تواعدوا موضعًا يصبحون عنده ثم يهاجرون إلى المدينة، فاجتمع عمر وعياش، وحبس عنهما هشام وفتن فافتتن، ولما قدما المدينة[٢] ونزلا

(١) الرحيق المختوم.
(٢) الرحيق المختوم.

في بني عمرو بن عوف بقباء، قدم أبو جهل وأخوه الحارث إلى عياش – وأم الثلاثة واحدة– فقالا له: إن أمك نذرت أن لا يمس رأسها مشط، ولا تستظل بشمس حتى تراك، فقال له عمر: يا عياش، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك، فاحذرهم، فوالله لو آذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت.

فقال: أبر قسم أمي، ولي هنالك مال آخذه، فقال عمر: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالاً، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما، فأبى عياش إلا الخروج معهما(١).

فقال له عمر: أما إذا قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجيبة ذلول، فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب فانج عليها، فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال أبو جهل: يابن أخي، والله لقد استغلظت بعيري هذا، أفلا تعقبني على ناقتك هذه؟ قال: بلى، فأناخ وأناخا ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عدوا عليه، فأوثقاه وربطاه، ثم دخلا به مكة وفتناه فافتتن، ثم إنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهارًا موثقًا، ثم قالا: يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسفهائكم، كما فعلنا بسفيهنا هذا.

ثم إن رسول الله ﷺ قال وهو بالمدينة: «من لي بعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص؟ فقال: الوليد بن الوليد بن المغيرة: أنا لك يا

---

(١) محمد نبي البر.

رسول الله بهما، فخرج إلى مكة فقدمها مستخفيًا، فلقى امرأة تحمل طعامًا، فقال لها: أين تريدين يا أمة الله؟ قالت: أريد هذين المحبوسين، -تعنيهما- فتبعها حتى عرف موضعهما.

وكانا محبوسين في بيت لا سقف له، فلما أمسى تسور عليهما، ثم أخذ مروة (حجر) فوضعها تحت قيديهما، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما، ثم حملهما على بعيره وساق بهما، فعثر فدميت إصبعه، فقال:

هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

ثم قدم بهما على رسول الله ﷺ المدينة.

هذه ثلاثة نماذج لما كان المشركون يفعلون بمن يريد الهجرة إذا علموا ذلك، ولكن مع كل ذلك خرج الناس أرسالاً يتبع بعضهم بعض، وبعد شهرين وبضعة ايام من بيعة العقبة الكبرى (الثانية) لم يبق بمكة من المسلمين الأوائل إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعلي -أقاما بأمره لهما- وإلا من احتبسه المشركون كرهًا، وقد أعد رسول الله ﷺ جهازه ينتظر متى يؤمر، وأعد أبو بكر جهازه.

روى البخاري عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ للمسلمين إني أُريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين (وهما الحرتان) فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ : «على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي»، فقال له أبو بكر: وهل ترجوا ذلك بأبي أنت؟ قال: «نعم»،

فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر –وهو الخبط– أربعة أشهر.

المؤامرة في دار الندوة على قتل رسول الله ﷺ [(١)]:

فلما رأى المشركون أصحاب رسول الله ﷺ قد تجهزوا وخرجوا بأهليهم إلى المدينة، وبقى هو ﷺ في مكة لم يبرحها، حاروا في أمره:

١– هل سيظل في مكة كما حدث عندما هاجر أصحابه إلى الحبشة.

٢– أم سيلحق بالذين هاجروا إلى يثرب ويترك مكة.

وهنا يقع المحظور الذي يهدد كيانهم الوثني والاقتصادي، فهم يعلمون[(٢)]:

١– ما في شخصية محمد ﷺ من غاية قوة التأثير مع كمال القيادة والإرشاد.

٢– ما في أصحابه من العزيمة والاستقامة والفداء في سبيله.

٣– ما في قبائل الأوس والخزرج من قوة ومنعة.

٤– ما في عقلاء هاتين القبيلتين من عواطف السلم والصلاح، والتداعي إلى نبذ الأحقاد فيما بينها، بعد أن ذاقوا مرارة الحروب الأهلية طيلة أعوام من الدهر.

٥– ما للمدينة من الموقع الاستراتيجي بالنسبة إلى المحجة التجارية

---

(١) تاريخ الإسلام.
(٢) الرحيق المختوم.

التي تمر بساحل البحر الأحمر من اليمن إلى الشام.

وقد كان أهل مكة يتاجرون إلى الشام بقدر ربع مليون دينار ذهب سنويًا، وقد تيقنت قريش أن الرسول ﷺ قد صارت له شيعته وأصحب من غيرهم بغير بلدهم، وأن أصحابه الذين هاجروا ليثرب قد نزلوا دارًا هي دار منعة (حماية) وأن القوم أهل حلقة (سلاح) وبأس، فخافوا خروج رسول الله ﷺ فيشتد أمره عليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم.

فقررت قريش[1]: أن تدفع هذا الخطر بأنجح الوسائل على وجه السرعة، فهي تعرف ما كان لقريش من الخطر البالغ الذي يهدد كيانهم، في تمركز الدعوة الإسلامية في يثرب، ومجابهة أهلها ضدهم، وهي تعرف أيضًا أن هذا الخطر مبعثه الوحيد هو حامل لواء دعوة الإسلام، محمد ﷺ ، وبالتالي فهي قررت أن تتصرف تصرفًا حاسمًا على وجه السرعة، حتى لا يسبقهم النبي ﷺ ويفلت من بين أيديها.

الاجتماع لوضع خطة للقضاء على حامل لواء الدعوة:

وفي يوم ٢٦ من صفر سنة ١٤ من النبوة في دار الندوة، اجتمع جميع نواب القبائل القرشية، وأما عن بني هاشم فلم يحضر سوى عمه أبو لهب، ولما جاءوا إلى دار الندوة حسب الميعاد، اعترضهم إبليس على هيئة شيخ جليل عليه كساء غليظ، فوقف على باب الدار، فلما رأوه واقفًا على بابها قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد، سمع بالذي اتفقتم

(١) تاريخ الإسلام، الرحيق المختوم، محمد نبي البر، مختصر السيرة لعبد الوهاب.

له، فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى أن لا يعدمكم منه رأيًا ونصحًا، وقالوا: أجل فادخل، فدخل معهم، وقد اجتمع فيها أشراف قريش ومن كان معهم، وغيرهم ممن لا يعد من قريش.

فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا.

فأجمعوا فيه رأيًا فتشاوروا ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه بابًا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله (زهير والنابغة) ومن مضى منهم، من هذا الموت، حتى يصيبه ما أصابهم.

فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم، فينزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به، حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي فانظروا في غيره.

فتشاوروا ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا، فننفيه من بلادنا، فإذا أخرج عنا، فوالله ما نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع، إذا غاب عنا فرغنا منه، فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت.

فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به؟ والله لو فعلتم ذلك، ما أمنتم أن يحل على حي من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه، حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم، فيأخذ

أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، دبروا فيه رأيًا غير هذا.

فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه لرأيًا ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة ؟؟؟ شابًا جليدًا نسيبًا وسيطًا فينا، ثم نعطي كل منهم سيفًا صارمًا، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه، فنستريح منه، فإنهم إن فعلوا ذلك، تفرق دمه في القبائل جميعًا، فرضوا منا بالعقل (الدية) فعقلنا لهم.

فقال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل، هذا الرأي الذي لا أرى غيره، فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له، وقد صمموا على تنفيذه فورًا.

وأخيرًا استقر رأيهم على ضرورة قتله والتخلص منه قبل فوات الأوان، وإذا نجحوا في ذلك فإن هجرة أصحابه الذين ذهبوا إلى يثرب ستكون بلا معنى، بل سوف يضطرون للعودة إلى مكة صاغرين، وسوف تعاقبهم قريش على صنيعهم هذا.

وكانوا على يقين من نجاح مؤامرة أبي جهل، حتى وقف أبو جهل في زهو وخيلاء وقال لأصحابه في سخرية واستهزاء: إن محمدًا يزعم أنكم إن بايعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكن جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم نارًا تحرقون فيها.

ولكن عين الله كانت ترعى نبيه، ومن كانت عين الله ترعاه فلن ينال منه مخلوق، فجاء جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، وأخبره بما كان منهم.

١- كانت المؤامرة على القتل صباح الخميس ٢٦ صفر سنة ١٤ من النبوة.

٢- علم رسول الله ﷺ بما بيتت له قريش وبالموعد الذي حددوه لاغتياله، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[١].

٣- فبدأ ينفذ خطته التي أعدها لهذا الموقف، والتي ألهمه الله بها.

أ- فجاء إلى أبي بكر نصف النهار -في وقت الظهيرة (الهاجرة)- في ساعة لم يكن يأتيه فيها متقنعًا، فأسر إلى صاحبه أبي بكر أن يعد عدته ويتجهز للهجرة في صحبته إلى يثرب، وقال له: إن الله قد أذن له في الخروج، فاغتبط أبو بكر أعظم غبطة أن اصطفاه رسول الله ﷺ دون سائر أصحابه ليكون رفيقه في هذه الرحلة التاريخية الخالدة، فقال أبو بكر: فخذ -بأبي أنت وأمي- إحدى راحلتي هاتين، فقال رسول الله ﷺ: «بالثمن».

أكمل أبو بكر الاستعدادات لهذه الرحلة المباركة، وانتظر أن يصدر النبي ﷺ أمره بالخروج، فقد واعد أبا بكر لحظة محددة يأتيه فيها حيث يكون كل شيء قد أعد للقيام بهذه الرحلة الخطيرة.

ب- ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه، فباتوا متيقظين ينتظرون ساعة الصفر، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم، قال لعلي بن أبي طالب: «نم على فراشي وتسج ببردي

(١) سورة الأنفال: الآية (٣٠).

هذا الحضرمي الأخضر فنم فيه -وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام- فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم»، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ :

١- كي يضلل قريشًا من جهة.

٢- ومن جهة أخرى ليتخلف علي في مكة حتى يؤدي للناس أماناتهم التي كانوا قد أودعوها عند النبي الصادق الأمين.

ترى أنه كيف يهتم رسول الله ﷺ برد الأمانات إلى أهلها، حتى ولو كانوا من المشركين الذين آذوه وائتمروا على حياته، وقد أدى علي بن أبي طالب هذا الدور الذي وكل إليه يوم الهجرة في شجاعة وجرأة، فنام في فراش النبي ﷺ .

ثم خرج رسول الله ﷺ عليهم، واخترق صفوفهم، وأخذ حفنة من البطحاء (من تراب) فجعل يذره على رؤوسهم، وقد أخذ الله أبصارهم فلا يرونه، وهو يتلو ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[1]، فلم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابًا، وخرج متوكلاً على الله دون أن يره منهم أحد، ومضى إلى بيت أبي بكر الذي كان ينتظره على أهبة الاستعداد.

وجاء رجل فرأى القوم ببابه، فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمدًا، قال: خيبكم اللهّ! قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد

---

(١) سورة يس: الآية (٩).

وضع على رأسه ترابًا، وانطلق لحاجته، أما ترون ما بكم؟

فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، فقالوا: والله ما أبصرناه، وقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم، ثم جعلوا يتطلعون من صير الباب فيرون عليًا على الفراش متسجيًا ببرد رسول الله ﷺ فيقولون: والله إن هذا محمد نائمًا، عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام عليّ رضي الله عنه عن الفراش، فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا، وسألوه عن محمد؟ فقال: لا علم لي به.

فلما تأكد لدى قريش إفلات رسول الله ﷺ صباح ليلة تنفيذ المؤامرة، فضربوا عليًا وسحبوه إلى الكعبة، وحبسوه ساعة، علهم يظفرون بخبرهما.

الهجرة من الدار إلى الغار[١]:

١- استأجرا عبد الله بن أريقط -وكان مشركًا- يدلهما على الطريق، وكان هاديًا ماهرًا بالطريق، وكان على دين قومه، وأَمناه على ذلك، وسلما إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث.

---

(١) الرحيق المختوم.

٢- خرج رسول الله ﷺ ليلة تنفيذ المؤامرة بقتله، ليلاً من خوفه (باب خلفي من منزل أبي بكر) ليخرجا من مكة على عجل، وقبل أن يطلع الفجر.

ولما كان النبي ﷺ يعلم أن قريشًا ستجد في الطلب، وأن الطريق الذي ستتجه إليه الأنظار لأول وهلة هو طريق المدينة الرئيسي المتجه شمالاً، فقد سلك الطريق الذي يضاده تمامًا، وهو الطريق الواقع جنوب مكة، والمتجه نحو اليمن، سلك هذا الطريق نحو خمسة أميال حتى بلغ إلى جبل يعرف بجبل ثور وهو جبل شامخ، وعر الطريق، صعب المرتقى، ذا أحجار كثيرة، فحفيت قدما رسول الله ﷺ وقيل: بل كان يمشي في الطريق على أطراف قدميه كي يخفي أثره فحفيت قدماه.

وقد حمله أبو بكر حين بلغ إلى الجبل وطفق يشتد به حتى انتهى به إلى غار في قمة الجبل عرف بغار ثور.

لدغ أبو بكر:

ولما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: والله لا تدخله حتى أدخله قبلك، فإن كان فيه شيء أصابني دونك، فدخل فكسحه، ووجد في جانبه ثقبًا فشق إزاره وسدها به، وبقى منها اثنان فألقمهما رجليه، ثم قال لرسول الله ﷺ أدخل، فدخل رسول الله ﷺ ووضع رأسه في حجره ونام، فلدغ أبو بكر في رجله من الحجر، ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله ﷺ فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ فقال: مالك يا أبا بكر؟ قال: لدغت، فداك أبي وأمي، فتفل رسول الله ﷺ فذهب ما يجده.

وكمنا في الغار ثلاث ليال، ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد.

ثلاثة نفر وثلاث مهمات[١]:

لم يعلم بأمر النبي ﷺ وأبي بكر سوى ثلاثة نفر:

١- أسماء بنت أبي بكر

كانت مهمتها أن تزود المهاجرين بالطعام والماء في الغار، وهي مهمة تحتاج إلى أعلى قدر من السرية والحذر؛ لأنه لو كشف أمرها ففي ذلك ما فيه الخطورة على النبي ﷺ وأبيها.

٢- عبد الله بن أبي بكر:

كانت مهمته أن يتسمع أخبار قريش بمكة في النهار، فإذا جن الليل ذهب إلى الغار ونقل إلى النبي ﷺ وأبيه ما يدور في نوادي قريش، وأخبرهما بما تنوي عمله.

٣- عامر بن فهيرة:

مولى أبي بكر وراعي غنمه، فكانت مهمته أن يرعى غنمه بالقرب من الغار، فإذا حل الظلام، عرج على الغار ليزود النبي ﷺ وصاحبه بألبان الغنم، ثم يسير بغنمه فوق أثر أقدام أسماء وعبد الله حتى يمحوه فلا تراه قريش، فتفطن إلى مكان النبي ﷺ وصاحبه.

وهي أدوار بطولية أداها هؤلاء الثلاثة يوم الهجرة في غاية الأمانة والشجاعة، وقد اضطلع كل واحد منهم بمهمة محدودة ولكنها غاية في

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٣٠).

الخطورة والمشقة.

ردود فعل قريش[١]

١- جن جنونها حينما تأكد لديها إفلات رسول الله ﷺ ليلة تنفيذ المؤامرة، فأول ما فعلوا بهذا الصدد أنهم ضربوا عليًا، وسحبوه إلى الكعبة، وحبسوه ساعة، علهم يظفرون بخبرهما.

٢- ولما لم يحصلوا من (عليّ) على جدوى جاءوا إلى بيت أبي بكر وقرعوا بابه، فخرجت إليهم أسماء بنت أبي بكر، فقالوا لها: أين أبوك؟ قالت: لا أدري والله أين أبي؟ فرفع أبو جهل يده -وكان فاحشًا خبيثًا- فلطم خدها لطمة طرح منها قرطها.

٣- قررت قريش في جلسة طارئة مستعجلة استخدام جميع الوسائل التي يمكن بها القبض على الرجلين.

أ- فوضعت جميع الطرق النافذة من مكة (في جميع الجهات) تحت الرقابة المسلحة الشديدة.

ب- كما قررت إعطاء مكافأة ضخمة قدرها مائة ناقة بدل كل واحد منهما لمن يعيدهما إلى قريش حيين أو ميتين، كائنًا من كان.

---

(١) الرحيق المختوم.

حينئذٍ جدت الفرسان، والمشاة، وقصاص الأثر في الطلب، وانتشروا في الجبال والوديان والهضاب، ولكن دون جدوى وبغير عائدة، وقد وصل المطاردون إلى باب الغار، لكن الله غالب على أمره.

روى البخاري عن أنس عن أبي بكر قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار فرفعت رأسي، فإذا أنا بأقدام القوم، فقلت يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا، قال: «اسكت با أبا بكر، اثنان الله ثالثهما»، وفي لفظ: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما».

وقد كانت معجزة أكرم الله بها نبيه ﷺ فقد رجع المطاردين دون حين لم يبق بينهم وبينه إلا خطوات معدودة.

في الطريق إلى المدينة[1]:

وحينما خمدت نار الطلب، وتوقفت أعمال دوريات التفتيش، وهدأت ثائرات قريش بعد استمرار المطاردة الحثيثة ثلاثة أيام بدون جدوى.

تهيأ رسول الله ﷺ وصاحبه للخروج إلى المدينة، وكان قد استأجرا عبد الله بن أريقط الليثي، وكان ماهرًا بالطريق وكان على دين كفار قريش، وأمناه على ذلك، وسلما إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما.

فلما كانت ليلة الاثنين غرة ربيع الأول سنة ١ هـ، جاءهما عبد الله

---

(١) الرحيق المختوم.

بن أريقط بالراحلتين، وحينئذ قال أبو بكر للنبي ﷺ بأبي أنت يا رسول الله خذ إحدى راحلتي هاتين، وقرب إليه أفضلهما، فقال رسول الله ﷺ: بالثمن.

وأتتهما أسماءٍ بنت أبي بكر رضي الله عنهما بسفرتها، ونسيت أن تجعل لها عصامًا، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فإذا ليس لهما عصام، فشقت نطاقها باثنين، فعلقت السفرة بواحدة، وانتطقت بالآخر، فسميت ذات النطاقين.

ثم ارتحل رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه وارتحل معهما عامر بن فهيرة، وأخذ بهم الدليل عبد الله بن أريقط على طريق السواحل وقد أخذ عامر خلفه ليخدمهما في الطريق، (خلف الصديق على البعير)، وأول ما سلك بهم بعد الخروج من الغار أنه أمعن في اتجاه الجنوب نحو اليمن، ثم اتجه غربًا نحو الساحل، حتى إذا وصل إلى طريق لم يألفه الناس اتجه شمالاً على مقربة من شاطئ البحر الأحمر، وسلك طريق لم يكن يسلكه أحد إلا نادرًا.

وهاك بعض ما وقع في الطريق:

مواقف كريمة على طريق الهجرة[١]

قال الصديق ﷺ «نعم أُسرينا ليلتنا كلها حتى قام قائم الظهيرة وخلا الطريق فلا يمر فيه أحد، قطعنا أول ليلة في الهجرة أي قطعنا الليل كله مسافرين حتى وقت الظهيرة من الغد (اليوم التالي) فيتوقف السير غالبًا لشدة الحرارة وتستريح الدواب لتقوى على سير الليل.

وكان الخروج من مكة ليلة الاثنين (١٢ بالليل من الأحد) سفر غير متقطع مع المطاردة والإجهاد وقسوة الطريق، حتى رفعت لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليه الشمس بعد، فنزلنا عندها فأتيت الصخرة فسويت بيدي مكانًا ينام فيه النبي ﷺ في ظلها، أي ظهرت لأبصارنا تلك الصخرة المرتفعة، وكانوا يتمنون مكان يقيلون فيه، وهذا السفر الطويل مع ما سبقه من معاناة الخروج من مكة كان قد أجهدهم، وكان أبو بكر أعرف بحق الرسول ﷺ لقربه منه، ومعرفته بمنزلته عند الله، فهيأ المكان ليستريح الرسول ﷺ من عناء السفر.

ثم فرشت للنبي ﷺ فيه (سوى المكان وفرشه وبسط ثوبًا عليه كظله من جهة تأتيه منها الشمس)، ثم قلت: نم يا رسول الله وأنا أنفض لك ما حولك، فنام وخرجت أنفض ما حوله، أي أفتش المكان خوفًا عليه من عدو قادم، أو من حشرة ضارة أو شيء يؤذي، فكان النبي ﷺ نائمًا،

(١) لواقح الأنوار النبوية، د. سعد سعد جاويش جازاه الله خيرًا في الدنيا والآخرة، ص١٤٦.

والصديق ﷺ قائمًا على حراسته حتى يستريح ﷺ .

فإذا أنا براعي غنم مقبل بغنمه إلى الصخرة يريد منها مثل الذي أردنا، فقلت له: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من أهل المدينة، أي من أهل مكة، وفي رواية للبخاري: (فقال لرجل من قريش سماه فعرفته)، وقال النووي: ولم تكن مدينة النبي ﷺ سميت بالمدينة، إنما كان اسمها يثرب، فإقبال الراعي في هذا الوقت ليس بالشر وإنما بالخير، فالمسافر لا يستغنى عن ماء أو لبن لشدة الحرارة وقلة ذلك غالبًا، وكان من عادة العرب أن راعي الغنم مؤتمن وهو مأذون له ومباح له في الحلب على المار وابن السبيل.

فالعرب كانوا يأذنون للرعاة إذا مر بهم ضيف أو عابر سبيل أن يسقوه اللبن ونحوه، والنبي ﷺ في هذه الحالة فهو ابن سبيل، والله أعلم، فإقبال الراعي في هذا الوقت هو إكرام من الله تعالى لنبيه ﷺ قلت: أفي غنمك لبن؟ قال: نعم، قلت: أتحلب لي؟ قال: نعم، فأخذ شاة، فقلت له: أنفض الضرع من الشعر والتراب والقذى، فيستجيب فحلب لي في قعب معه كثبة من لبن، (القعب: قدح من خشب معروف، الكثبة: هو قدر الحلبة المسموح له به)، فهو راعي مؤتمن فلا يتصرف إلا بالقدر المسموح له به، وهو عنده الإذن بالحلب لمن يرد عليه.

ومعي إداوة حملتها للنبي ﷺ يرتوي منها، ويشرب ويتوضأ، (إداوة: إبريق من الجلد يسقي منه رسول الله ﷺ)، فأتيت النبي ﷺ فكرهت أن أوقظه من نومه فوافقته حين استيقظ، وهذا من فقه وحلم وعلم وأدب

الصديق ﷺ مع رسول الله ﷺ ، فإن النبي ﷺ إذا كان نائمًا فلا يوقظه أحد فإنه تنام عينيه ولا ينام قلبه، ولاحتمال أن يكون في وقت نزول الوحي عليه ﷺ وأيضًا لم يوقظه رفقًا به ومراعاة لظروف السفر، لذلك كره الصديق ﷺ إيقاظ النبي ﷺ فلما استيقظ النبي ﷺ صب الصديق ﷺ من الماء على اللبن حتى برد أسفله.

فصببت من الماء على اللبن حتى برد أسفله، فقلت: يا رسول الله إشرب من هذا اللبن، فشرب حتى رضيت، (انتظر الصديق حتى استيقظ الرسول ﷺ فقام بتبريد اللبن حتى تطيب له نفس النبي ﷺ . فكان الصديق ﷺ عظيم الفطنة، كريم النفس قوي الحجة، وافيًا نافذ البصر والبصيرة؛ لذا فقد رشحته الإرادة الإلهية ليكون في شرف المعية النبوية، وكان صاحب الهجرة ومؤنس النبي ﷺ .

وكان خادمه وحارسه، والمواسي له بالنفس والمال، ومن عظيم أدبه يقدم اللبن في أدب قائلاً: إشرب يا نبي الله من هذا اللبن، ويفرح وتطيب نفسه بأخذ رسول الله ﷺ الحظ الأنسب من اللبن فكلمة (حتى رضيت) مشعرة بأنه أمعن في الشرب، وعادته المألوفة كانت عدم الإمعان، فبعد السفر والحر الشديد أدعى لحاجة الإنسان إلى ري كثير وحظ أوفر من اللبن والماء.

ثم قال: ألم يأن الرحيل؟ قلت: بلى، قال: فارتحلنا.

٢- كان من دأب أبي بكر ﷺ أنه كان ردفًا للنبي ﷺ وكان شيخًا يُعرَف ونبي الله ﷺ شاب لا يعرف، فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: من هذا

الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني الطريق، فيحسب الحاسب أنه يعني به الطريق، وإنما يعني سبيل الخير.

٣- قصة سراقة بن مالك بن جعشم:

فقد رأى رجلاً (أسوده بالساحل) فأخبر قريشًا وقال: أراها محمدًا وأصحابه، ولكن سراقة كذب هذا الرجل قائلاً بل هم فلان وفلان خرجا في طلب حاجة لهما، وكان ينوي من وراء ذلك أن يلحق وحده بالنبي ﷺ ورفيقه ليقبض عليهما ويعود بهما إلى أهل مكة، ليفوز بالجائزة الكبيرة التي رصدتها قريش لذلك.

ثم لبس في المجلس ساعة، ثم أمر بفرسه فأعدت له، وركب مسرعًا حتى لحق بالنبي ﷺ وصاحبه، وبينما فرسة تشتد به إذ عثر به وسقط عنه ثلاث مرات، ثم يقوم في كل مرة ويواصل الركوب حتى إذا سمع قراءة النبي ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، فقال الصديق ﵁: هذا سراقة بن مالك قد رهقنا، فدعا عليه رسول الله ﷺ فساخت يدا فرسه في الأرض حتى بلغتا الركبتين، وسقط سراقة عن الفرس، وحار في تفسير ذلك، فهاهو وقد أصبح قاب قوسين أو أدنى من الجائزة، فرسه تخونه وتعجز عن مواصلة السير، فوقع في نفس سراقة من حبسه عنهم: أن أمر رسول الله ﷺ سيظهر وأنه في حماية فقد مُنع من سراقة.

فنادى سراقة عليهم قائلاً: أنا سراقة بن جعشم، وتوسل إليهم قائلاً: قد علمت أن الذي أصابني بدعائكما، فادعو الله لي، واعفوا عني، ولكم أن أرد الناس عنكم، وأضلل قريش ولا أدلهم على مكانكم، فدعا له رسول

الله ﷺ فخلصت يدا فرسه فانطلق، وسأل رسول الله ﷺ أن يكتب له كتاب أمان، قال ﷺ اكتب له يا أبا بكر فكتبه وألقاه إلى سراقة.

وقال له رسول الله ﷺ كيف بك إذا لبست سواري كسرى، فقال سراقة مندهشًا: كسرى بن هرمز؟ كأن الرجل لا يصدق، فأين سراقة من كسرى، ملك ملوك الفرس؟! نعم كسرى بن هرمز، فالرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى.

ورجع سراقة فوجد الناس في الطلب، فجعل يقول: قد أسبرأت لكم الخبر، قد كفيتم ما ههنا، وكان أول النهار جاهدًا عليهما، وآخره حارسًا لهما، ولم يذكر شيئًا مما كان، حتى إذا كان فتح مكة، وفرغ رسول الله ﷺ من حنين والطائف خرج ورفع يده بالكتاب ثم قال يا رسول الله: هذا كتابك لي، أنا سراقة، فقال الرسول ﷺ : يوم وفاء وبر أدنة.

قال سراقة فدنوت منه فأسلمت، فأسلم سراقة بعد فتح مكة وعاش إلى أن فتحت بلاد فارس في عهد عمر بن الخطاب، وأتوه بجواهر ملوك الفرس، وفيها سواري كسرى فتذكر وعد النبي ﷺ لسراقة فدعاه، وقال له: ارفع يديك، قل: الله أكبر، الحمد لله، الذي سلبهما كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقة بن مالك الأعرابي.

٤- قصة أم معبد[١]:

ثم مروا بخيمة أم معبد الخزاعية، وكانت امرأة برزة جلدة، تحتبي

(١) مختصر سيرة الرسول، محمد عبد الوهاب.

بفناء الخيمة ثم تطعم وتسقى من مر بها، فسألاها: هل عندها شيء؟ فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى، والشاء عازب، وكانت سنة شهباء، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة، فقال: «ما هذه الشاة يا أم معبد؟» قالت: شاة خلّفها الجهد عن الغنم، فقال: «هل بها لبن؟» قالت: هي أجهد من ذلك، قال: «أتأذنين لي أن أحلبها؟» قالت: نعم -بأبي أنت وأمي- إن رأيت بها حليبًا فاحلبها، فمسح رسول الله ﷺ بيده ضرعها، وسمى الله ودعا، فتفاجّتْ عليه ودَرّت، فدعا بإناء لها يربض الرهط، فحلب فيه حتى علته الرغوة، فسقاها، فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب هو، وحلب فيه ثانيا فملأ الإناء، ثم غادره عندها وارتحلوا.

فما لبثت أن جاءها زوجها يسوق أعنزًا عجافًا يتساوكن هزالاً، فلما رأى اللبن عجب، فقال: من أين لك هذا؟ والشاة عازب، ولا حلوبة في البيت؟ فقالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه: كيت وكيت، ومن حاله كذا وكذا، قال: إني والله أراه صاحب قريش الذي تطلبه، صفيه لي يا أم معبد، قالت: ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة، ولم تزر به صعلة، وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، أحور أكحل، أزج أقرن، شديد سواد الشعر.

إذا صمت علاه الوقار، وإن تكلم علاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنه وأحلاه من قريب، حلو المنطق، فصل، لا نذر ولا هذر.

كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربعه، لا تقتحمه عين من قصر، ولا تشنؤه من طول.

غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره، محفود: (الذي يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسرعون في طاعته)، محشود: (الذي يجتمع إليه الناس)، لا عابس ولا مفند: لا يفند أحدًا أي يهجنه ويستقل عقله، بل جميل المعاشرة، وهو الذي لا فند ولا ضعف في كلامه، ولا يرد عليه في أي شأن لكمال قوته وحكمته.

قال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذي تطلبه، ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن، إن وجدت إلى ذلك سبيلاً.

قالت أسماء بنت أبي بكر: مكثنا ثلاث ليال لا ندري: أين توجه رسول الله ﷺ ، إذ أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات غناء العرب، والناس يتبعونه ويسمعون منه ولا يرونه، حتى خرج من أعلى مكة، فعرفنا أين توجه رسول الله ﷺ يقول:

جزى الله رب العرش خير جزائه	رفيقن حَلاَّ خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبرِّ وارتحلا به	فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصيٍّ ما زوى الله عنكمو	به من فخار لا يُحاذي وسؤدد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها	فإنكموا إن تسألوا الشاة تشهد
لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم	وقُدِّس من يَسرِي إليه ويغتدي

وتقول أسماء بنت أبي بكر: ولما خرج أبو بكر احتمل معه ماله، فدخل علينا جدي أبو قحافة -وقد ذهب بصره- فقال إني والله لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قلت: كلا والله، قد ترك لنا خيرًا، وأخذت حجارة، فوضعتها في كوة البيت، وقلت: ضع يدك على المال، فوضعها وقال: لا بأس، إن كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، قالت: والله ما ترك لنا شيئًا، وإنما أردت أن أسكت الشيخ،

وصول رسول الله ﷺ إلى المدينة.

إجازة

بقراءة القرآن الكريم وإقرائه

برواية حفص بن سليمان الكوفي عن عاصم بن أبي النجود الكوفي من طريق حرز الأماني ووجه التهاني " الشاطبية " مع إضافات أخرى من الطرق المعتبرة عند أهل الأداء .

المجيزة

خادمة القرآن الكريم والعلم الشيخة

نجوى بنت محمد بن سليمان بن قتيبة

المجازة

خادمة القرآن الكريم والعلم الشيخة

هدية بنت صالح بن عبده بن إبراهيم



نجوى بنت محمد بن سليمان بن قتيبة

أما بعد .. فتقول الفقيرة إلى عفو ربها العفو الوالي .

نجوى بنت محمد بن سليمان بن قنيبة

إن أخذ العلم عن أهله دليل على نجابة المرء وفضله

ولما كان علم تجويد القرآن الكريم من أعظم العلوم مقدارًا

وأرفعها شرفًا ومنارًا ، وكان من أعظم مبانيه وأجل

معانيه اتصال السند فيه بخاتم الأنبياء

والمرسلين من أجل ذلك تنافس فيه

المحبون وفاز به المصطفون

المختارون وكان من

بين المتنافسين

في هذا

المجال تلميذتنا الفاضلة الشيخة /

هدية بنت طه بن عبده بن إبراهيم

المولودة بالساحل - القاهرة - جمهورية مصر العربية .

الأربعاء ١٨ من صفر ١٣٧٢هـ ، ٥ من نوفمبر ١٩٥٢م .



نجوى بنت محمد بن سليمان بن قنيبة

فقد جدت في تحصيل العلم وشمرت عن ساعد الجد والاجتهاد
وجاءت إلى الحق - حفظها الله وبلغها في الدارين رضاه - وقرأت
علىّ ختمة كاملة للقرآن الكريم برواية حفص بن سليمان
الكوفي عن عاصم بن أبي النجود .

وقد أتمت حفظ المقدمة الجزرية للإمام ابن الجزري
وتحفة الأطفال للشيخ الجمزوري ، والسلسبيل الشافي
للشيخ / عثمان بن سليمان بن مراد ، مع دراسة كتاب /

سراج الباحثين عن منتهى الإتقان في تجويد القرآن

تأليف شيختي الشيخة /

كوثر بنت محمد بن عبد الفتاح بن عامر الخولي "

وقد أخبرتها بأن قرأت القرآن الكريم كله برواية
حفص عن عاصم على الشيخة /

كوثر بنت محمد بن عبد الفتاح بن عامر الخولي

والتي أخبرتني بأنها قرأت القرآن الكريم كله
برواية حفص عن عاصم على كل من السادة



قال ابن الجزري في التحبير

إسناد قراءة عاصم

و أما رواية حفص بن سليمان الكوفي صاحب عاصم

فحدثنا بها أبو الحسن طاهر بن غلبون الحلبي المقرئ قال حدثنا بها أبو الحسن علي بن محمد بن صالح الهاشمي الضرير المقرئ بالبصرة ، قال حدثنا بها أبو العباس أحمد بن سهل الأشناني ، قال قرأت على عبيد بن الصباح ، وقال قرأت على حفص ، وقال قرأت على عاصم بن أبي النجود الأسدي وكنيته « أبو بكر » وقرأ عاصم على أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي ، وأبي مريم زر بن حبيش ، وأخذ أبو عبد الرحمن السلمي عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم جميعًا ، وأخذ زر عن عثمان وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما ، وقد أخذ أبي بن كعب وعثمان ابن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت



رضي الله عنهم جميعاً عن

النبي صلى الله عليه وسلم

سيد الأنام وخاتم المرسلين

عن أمين الوحي

جبريل عليه السلام

عن

اللوح المحفوظ

عن

رب العزة

جل جلاله وتقدست أسماؤه .



فهذه الأسانيد هي التي أدت إلينا هذه الروايات رواية وتلاوة وغير ذلك من الأسانيد المذكورة في كتاب /

" تحبير التيسير والنشر في القراءات العشر "

للإمام ابن الجزري

وقد أجزتها لذلك إجازة صحيحة بشروطها المعتبرة عند علماء الأثر ، وأذنت لها أن تقرأ القرآن الكريم وتُقرِئه برواية حفص عن عاصم . التي تلقتها عني

كما أجزتها بتدريس كتاب :

" سراج الباحثين عن منتهى الإتقان في تجويد القرآن "

كما تلقته عني وتعلمته مني ، وذلك في أي مكان حلت وأي قطر نزلت ، وفقها الله تعالى للخير والرشاد وكان لها العون والعناية في كل شيء .

ولتعرف الشيخة الفاضلة /

هدية بنت طه بن عبده بن إبراهيم

المولودة بالساحل - القاهرة - جمهورية مصر العربية

الأربعاء ١٨ من صفر ١٣٧٢هـ ، ٥ من نوفمبر ١٩٥٢م .

محمود بن محمد بن حسن بن سليمان بن قبيلة

قدر ما وصلت إليه وأغدق عليها من هذه النعمة العظيمة والمنة الجسيمة، ولتعلم كتاب الله راغبة ولتخفض جناحها لمن أتاها طالبًا ولا تقتصر على ما عندها بل تطلب الازدياد وقد أمر الله بذلك سيد العباد - صلى الله عليه وسلم - بقوله تعالى:

وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا

هذا.. وأوصيها بما أوصاني به مشايخي مدى الدهر من أن تتحرى الصواب فيما ترويه، وأعهد إليها بألا تأنف من الرجوع عن الخطأ، وألا تتبع هوى نفسها فيما منها سقط، وأن ترحم الصغير وتوقر الكبير وبالتواضع يرفع قدرها، كما أعهد إليها بأن تظهر أصل هذا السند لمن أراد أن يطلع عليه من الخاصة والعامة. وأرجو مولانا العظيم أن يجعل القرآن الكريم شاهدًا لي ولها لا علي ولا عليها، وأسألها ألا تنساني من صالح دعواتها في خلواتها وجلواتها.

كما أوصيها أيضًا بكثرة المراجعة، ودوام المذاكرة



نجوى بنت محمد بن سليمان حسن قبيسة

فإن الإنسان سريع النسيان، كثير الهفوات، ودواء نسيان العلم السؤال عنه وكثرة مراجعته ومذاكرته ودواء الهفوات كثرة الاستغفار، وتجديد التوبة دائماً، ولا يبقى للفتاة علمها إلا بذلك.

ألا فلتحرص الطالبة كل الحرص على الأخذ بهذه الأسباب والله سبحانه وتعالى يرشدها ويوفقها وينفع بها الإسلام والمسلمين.

والله تعالى الموفق للصواب

المُجِيزَة

الفقيرة إلى عفو ربها العفو الوالي الشيخة

نجوى بنت محمد بن سليمان بن قنيّة

التوقيع



نجوى بنت محمد بن سليمان بن قنية

بسم الله الرحمن الرحيم

شهادة إتمام الدراسة بمركز الدعوة الإسلامية

التابع للمركز العام لجمعية مجد الإسلام الخيرية

بشبرا المشهرة برقم ٢٠٦٢

الساحل القاهرة

استحق هذه الشهادة هدية بن طه عبده ابراهيم المولود سنة ١٩٥٢ جهة القاهرة

محافظة القاهرة بجمهورية مصر العربية ، بعد أن نجح في امتحانها المنعقد سنة ١٤١٩ هـ ،

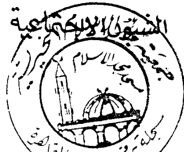
سنة ١٩٩٨ ميلادية وحصل على تقدير جيد جداً

والله تعالى يوفقه لخدمة الإسلام والدعوة إليه

القاهرة في سنة ١٤١٩ هـ سنة ١٩٩٨ م

سجلت في المركز برقم (١) — عميد المركز المسئول — رئيس الجمعية — الشئون الاجتماعية

توقيع صاحب الشهادة بوضوح



بسم الله الرحمن الرحيم

شهادة إتمام الدراسة بمعهد الدعوة الإسلامية

التابع للمركز العام لجمعية مجد الإسلام الخيرية

بشبرا المشهرة برقم ٢٠٦٢

استحق هذه الشهادة هدية بن طه عبده ابراهيم المولود سنة ١٩٥٢ جهة محافظة القاهرة بجمهورية مصر العربية، بعد أن نجح في امتحانها المنعقد سنة ١٤٢٥ هـ، سنة ٢٠٠٤ ميلادية وحصل على تقدير ممتاز

والله تعالى يوفقه لخدمة الإسلام والدعوة إليه

القاهرة في ١٤٢٥ سنة هـ ٢٠٠٤ سنة م



سجلت في المعهد برقم (٥)	عميد المعهد المسئول	رئيس الجمعية	الشئون الاجتماعية
توقيع صاحب الشهادة بوضوح			

المركز العام لجمعية مجد الاسلام

معهد الدعـوة

بشـبرا

بطاقة واعظ متطوع

الاسم :

العنوان :

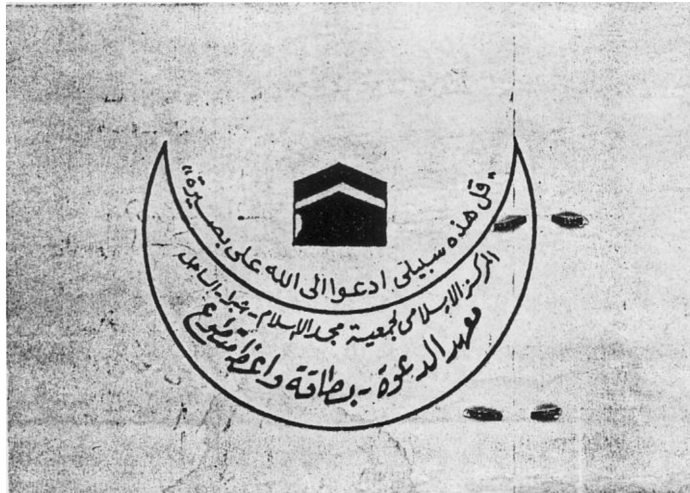
المهنة :

الصفة :

رقم البطاقة :

تاريخ الالتحاق :

رئيس مجلس الإدارة







جامعة القاهرة

بعد الاطلاع على نتيجة الامتحان لطلبة الطب البيطري في مايو سنة ١٩٧٦

قرر مجلس الجامعة بتاريخ ٢٨ من يونيه سنة ١٩٧٦

منح الآنسة هدية طه عبد الرحيم بنت السيد طه عبد الرحيم المولودة في القاهرة سنة ١٩٥٢

درجة البكالوريوس في العلوم الطبية البيطرية بتقدير مقبول

تحريرا في شوال سنة ١٣٩٨ هجرية وسبتمبر سنة ١٩٧٨ ميلادية

العميد | رئيس الجامعة

سجلت بجامعة القاهرة برقم | توقيع صاحب الدرجة

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة